كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

يشرف على تحريرها

أ.د/ ناهد يوسف رزق يوسف — عميد الكلية

أ.د/ محاسن فكري عبد الخالق — وكيل الكلية

العدد الخامس والعشرون

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

للتواصل مع المجلة والاستفسارات

توجه جميع المراسلات باسم الأستاذ الدكتور: رئيس تحرير المجلة

على صفحة تواصل المجلة على موقع بنك المعرفة المصري على الرابط التالي:

https://bfsgm.journals.ekb.eg/journal/contact.us

أو البريد الإلكتروني للمجلة:

mgirlsmansoura@azhar.edu.eg

أو العنوان التالي:

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة - شارع الشيخ محمد متولي الشعراوي - عزبة الشال - المنصورة - محافظة الدقهلية - مصر

البحوث المنشورة تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو القائمين عليها

الترقيم الدولي الموحد للطباعة

2735-5241

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني

ISSN: 2735-525X

الدَّلَالَةُ اللُّغَوِيَّةُ والسِّيَاقِيَّةُ لِلفْظِ «أُمَّةٍ» فِي القُرآنِ الكرِيم

إعداد

د. بشرى رجائي رجب علي

مدرس أصول اللغة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣م

الدَّلَالَةُ اللُّغَوِيَّةُ والسِّيَاقِيَّةُ لِلَفْظِ أُمَّةٍ في القُرْآنِ الكَرِيم

بشرى رجائي رجب علي.
قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر الشريف، المنصورة، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: boshraali.820@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

رصدتُ في هذه الدراسةِ الدلالةَ اللُّغويةَ والسِّياقيةَ للفظٍ من ألفاظ القرآن الكريم وهو لفظ(أُمَّة)، فمهَّدتُ لذلك بتعريف السياق، وذكرتُ أهمِّيَتَهُ التي أدركها القدامى والمحدثون، ثم وقفْتُ على الدلالة الأصلية أو المحورية للفظ، ثم كشفْتُ عن الدلالات والمعاني اللُّغوية التي أثبتتها له معجماتُ اللُّغة، وكتب المشترك اللفظي، والوجوه والنظائر، ثم انتقلتُ بعد ذلك إلى رَصْدِ الدلالة السياقية للفظ (أُمَّة) في القرآن الكريم، (من أول سورة البقرة إلى آخر سورة النحل)، فحصرْتُ المعانيَ المتعددةَ التي أثبتها له علماءُ اللغةِ والتفسير في كل موضع من هذه المواضع - محلّ الدِّراسة- ثُمَّ بيَّنْتُ موقفَ السياق من هذه المعاني وترجيح بعضها، ثم انتهيتُ إلى أن العلماء وإن كانوا قد أثبتوا كثيرا من المعاني للفظ (أُمَّة) في كل موضع، إلا أن السياقَ يحددُ للّفظِ في كل موضع من مواضع ذكره معنى واحدًا من هذه المعاني، إذا لم تكن المعاني متقاربة، وبهذا تؤكد الدراسة على أن الاعتماد على السياق يضيق دائرة المشترك اللفظي؛ حيث يصطفي من المعاني المتعددة معنى معينا يقوي القول به ويتبناه ويرفض ما سواه.

الكلمات المفتاحية: أُمَّة، الدّلالة اللغوية، السياق، أُمَّة في القرآن، الدلالة السياقية.

The contextual significance of the word "nation" in the Holy Qur'an

Boshra Ragaey Ragab Ali.
Department of Arabic Language Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Mansoura, Arab Republic of Egypt.
Email: boshraali.820@azhar.edu.eg

Abstract:

In this study, the researcher monitored the linguistic and contextual significance of one of the words of the Holy Qur'an, which is the word (nation), so she prepared for that by defining the context, and mentioned its importance that the ancients and moderns recognized. Then she emphasized the original or central significance of the word, then revealed the linguistic connotations and meanings that language dictionaries have proven to it and the common verbal and similarities related to it. Then she recorded the contextual significance of the word (nation) in the Holy Qur'an (from the beginning of Surat Al-Baqarah to the end of Surat Al-Nahl), and she listed the multiple meanings that scholars of language and interpretation have proven to it in each of these places. She explained the context's position on these meanings and the preponderance of some of them, then she concluded that even though the scholars have proven many meanings of the word (nation) in every place, the context assigns to the word only one meaning of these, if the meanings are similar. Thus, the study confirms that reliance on context narrows the circle of verbal commonality. Where it selects a specific meaning from the multiple meanings, strengthens the statement with it, adopts it, and rejects anything else.

Keywords: Nation, Linguistic significance, Context, Nation in the Qur'an, Contextual Significance.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والاعتزازُ بها اعتزازٌ بالإسلام، وتراثه الحضاري العظيم، فهي عنصرٌ أساسي من مقوماتِ الأمة الإسلامية، واللغة من الأمة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها، ولغة قرآنها الذي تبوأ الذروة فكان مظهر إعجاز لغتها القومية.

ولما كان القرآنُ الكريمُ هو المرجعَ في اللغةِ، والمصْدر في التشريع، كان التطواف فيه أجرًا وعلمًا، وكنت كلما سمعت ألفاظ القرآن الكريم التي تتنوع دلالاتها، أثارني التعبيرُ، وبرز السؤالُ في النفس عن أثر السياق في استعمالها.

ونظرية السياق هي أهم النظريات التي تعين على فهم النصوص فهمًا صحيحًا وتحديد معاني الألفاظ تحديدًا سليمًا؛ فهي تخلص دلالة النصوص والألفاظ من التعدد والاحتمال لا سيما النصوص التي يوحي ظاهرها بأكثر من معنى والألفاظ التي تتعدد دلالتها.

لذا، فقد وقع الاختيارُ على لفظٍ واحدٍ من ألفاظ القرآن الكريم؛ للكشف عن معناه، وتحديد دلالته في بعض المواضع التي تمَّ ذكرهُ فيها في القرآن الكريم؛ ليخْلصَ من التعدد والاحتمال الذي قال به اللغويون والمفسرون، والقائلون بالاشتراكِ في هذا اللفظ، فكان موضوع البحث: (الدّلالةُ اللُّغَوِيَّةُ والسِّيَاقِيَّةُ للفظِ أُمَّةٍ في القرآنِ الكريم).

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى كونه متعلقًا بأحد الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم، ألا وهو لفظ "أُمَّة" ودراسته دراسة لُغوِيَّة وسياقِيَّة؛ للوقوف على المعنى الذي يطلبه السياق، وبيان أثره في فهم مقاصد النص القرآني؛ لئلا يذهبَ الكلامُ إلى غير وجهه، ويُحْمل على غير قصده، كما يسهم هذا البحث في فتح آفاق جديدة للباحثين في بلاغة القرآن الكريم لا سيما من خلال الألفاظ ذات الدلالات المتعددة التي تسهم في إثراء العلوم المختلفة.

أسباب اختيار الموضوع:

قد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها:

- رغبتي الشديدة في عمل دراسة تتعلق بالقرآن الكريم؛ رجاءً في ثواب الله تعالى.
- إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني، وهو ما يتعلق باللفظة القرآنية وخصوصيتها في سياقاتها المختلفة.
- أنَّ أثر دراسة السياق للفظة القرآنية يجعل المفسِّر مدركًا لحقيقة المعنى وأبعاده، وهذا يعين على حسن الفَهم وبيان مقاصد النص القرآني.
- إبراز أهمية السياق والكشف عن أثره في تحديد دلالات الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، فيكشف عنها اللبس، ويزيل عنها الغموض.

هدف البحث:

هدف هذا البحث إلى الوقوف على الدلالة المحورية أو الأصلية للمادة التي اشتق منها لفظ "أُمَّة"، والدلالة اللُّغوية التي أثبتتها له المعجمات العربية وكتب اللغة، وبيان موقف السياق في اختيار المعنى المناسب من المعاني المتعددة للفظ في كل موضع، وكل هذا يبرز أهمية السياق في توضيح المعنى المراد، كما يحث على حفظ كتاب الله تعالى وتدبر آياته والعمل بها.

حدود البحث:

لفظ أُمَّة (من أول سورة البقرة إلى آخر سورة النحل) في معجمات العربية، وكتب المشترك، والوجوه والنظائر، ومواضع ذكره في علوم القرآن الكريم وكتب التفسير.

تساؤلات البحث:

- هل لفظ "أُمَّة" ضمن ألفاظ المشترك اللفظي؟
- هل تفسير لفظ "أُمَّة" في جميع مواضع ذكره في القرآن يحمل دلالة واحدة، أم دلالات متعددة؟

- هل اتفقت أقوال علماء علوم القرآن وأصول التفسير في دلالته في الموضع الواحد أم تعددت؟
- هل يساهم السياق في تحديد دلالة واحدة معينة من الدلالات المتعددة التي ذكرها العلماء له في كل موضع؟
- هل يساهم السياق في تضييق دائرة المشترك اللفظي؟

وقد أجاب البحث عن هذه التساؤلات من خلال الدراسة التطبيقية للفظ "أُمَّة".

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تمَّ تحديد بعض مواضع ذكر اللفظ في القرآن الكريم، وجمع معانيه من خلال أقوال العلماء، وترتيب هذه الأقوال، وتحليلها، وتحديد موقف السياق منها، بالإضافة إلى توثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والشواهد اللغوية.

الدراسات السابقة:

تَمَّ إجراء دراسات سابقة في موضوع السياق، منها:

- السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، للباحث/عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، (٢٠٠٨) م.
- "السياق وأثره الدلالي في صحيح الإمام البخاري" للباحث/ إبراهيم محمد محمد حسنين، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر (٢٠١٤م).
- "دلالة السياق في كتب غريب الحديث في القرنين الثالث والرابع الهجريَيْنِ" للباحث/ عبد العظيم عبد العليم عبد العال حسن، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر (٢٠١٥م).
- "سياق الموقف وأثره في الوقف والابتداء ـ دراسة وصفية تحليلية": د. مصطفى

أحمد إسماعيل،بحث منشور في المؤتمر العلمي الأول لكلية اللغة العربية بالمنوفية المنعقد في ربيـــع الثاني ١٤٣٨هـ، يناير ٢٠١٧م، المجلد الخامس.

- "دلالة السياق وأثرها في أسباب ورود الحديث النبوي" للباحث/ محمد السيد سيد أحمد إبراهيم، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالزقازيق- جامعة الأزهر (٢٠١٨م).

- ورسالتي في مرحلة العالمية الدكتوراه بعنوان: "أثر السياق في الدلالة على المعنى في كتاب المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود للشيخ محمود خطاب السبكي (ت١٣٥٢ هـ)"، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة- جامعة الأزهر (٢٠٢٠م).

- السياق وأثره في الدلالة على المعنى في شرح المشكاة للطيبي (ت ٧٤٣ هـ) المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للباحثة/سحر ناجي حافظ السيد، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر (٢٠٢٠م).

- السياق وأثره على المعنى في شروح الجامع الصغير للسيوطي (ت ٩١١ هـ) من بدايتها إلى آخر حرف الراء، للباحثة/ أم كلثوم عبد الهادي الشبراوي أحمد، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر (٢٠٢١م).

- "السياق وأثره في توضيح المعنى من خلال التفسير البسيط للواحدي (ت٤٦٨هـ) من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الناس"، للباحثة/حنان عبد الغفار الطحاوي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ـ جامعة الأزهر (٢٠٢١م).

وهذه الدراسات وإن كان بعضها يقوم على دراسة السياق في القرآن الكريم إلا أنها لم تتعرض لموضوع البحث وهو دراسة لفظ "أُمَّة" في القرآن الكريم، ومن هنا اختلفت هذه الدراسة عما سبقها من دراسات؛ حيث تناولت لفظا خاصا، وهو لفظ "أُمَّة"، في ميدان خاص وهو القرآن الكريم، بتحديد خاص وهو الدلالة اللُّغوية والسِّيَاقِية للفظِ في القرآن الكريم.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ثم مبحثين، وخاتمة، ثم ثبت لمراجع البحث.

فأما المقدمةُ فتضمَّنَتْ: عنوان البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وهدفه، وحدوده، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة له، وخطته.

وأما التمهيد، فقد تضمَّن مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح، وإبراز أهميته، والدّلالة السّياقية.

ثم جاء المبحث الأول بعنوان: الدّلالة اللغوية للفظ "أُمَّة".

وجاء المبحث الثاني بعنوان: الدّلالة السِّيَاقية للفظ (أُمَّة) في القرآن الكريم.

ثم الخاتمة.

ثم ثبت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

وبعد، فإني أحمد الله تعالى الذي وفَّقني إلى ذلك، وهذا مبلغ علمي وغاية جهدي، فأسأله تعالى الإخلاص والقبول، وأدعوه -جل في علاه - أن يتجاوز عما به من زلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

السياق لغة: «السينُ والواوُ والقافُ أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْوُ الشيء، يقالُ: سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا، والسَّيِّقَةُ: ما اسْتِيقَ مِن الدَّوَابِّ، يقالُ: سُقْتُ إلى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وأَسَقْتُهُ، والسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ من هذا، لِما يُسَاقُ إليها من كل شيء»(١).

وقال ابن منظور: «انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقا: إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة، وفي حديث أُمِّ مَعْبَدٍ: فَجاء زَوْجُهَا يَسُوق أَعْنُزاً ما تَساوَق، أَيْ: ما تتابَعُ، والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا» (٢).

«وساق إليها الصَدَاق والمَهْر سياقا، وأساقه، وإن كان دَرَاهِم أو دَنَانِير، لأن أصل الصَدَاق عِنْد العَرَب: الإِبِل، وهِي الَّتِي تساق، فاسْتعْمل ذلك في الدِّرْهَم والدِّينَار وغيرهما»(٣).

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٤)، أي: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إلى أَمْرِ الله(٥)، وقيل: سائق يسوقها إلى محشرها(٦)، «وسِيَاق الكَلَام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»(٧).

مما سبق يتضح أنَّ السياق في اللغة، مأخوذ من مادة "سَوَقَ" التي تدل على المعنى الحسي وهو "التتابع"، ثم انتقل هذا المعنى الحسي إلى المعنى المعنوي الذي يدل على تتابع الكلام وتراسله في نسق معين.

واصطلاحا: بالبحث في جهود القدامى؛ لتحديد المفهوم الاصطلاحي للفظ

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس(سوق): (٣/ ١١٧).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (سوق): (١٠/ ١٦٦)، وينظر: تاج العروس، للزبيدي (سوق): (٢٥/ ٤٨١).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (سوق): (٦/ ٥٢٤).

(٤) سورة ق، آية: (٢١).

(٥) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣٠)، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي: (١١/ ٧٠٤٤).

(٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (٥/ ٤٥)، وينظر: تفسير النسفي: (٣/ ٣٦٥).

(٧) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية: (١/ ٤٦٥).

السياق تبيَّن أنّ أول من صرح بلفظ "السياق" هو الإمام الشافعي "ت ٢٠٤هـ "، وذلك عندمـا عقد في رسالته بابًا بعنوان: "الصِّنْف الذي يُبَيِّن سياقُه معناه"[١].

والمتأمل لما قام به الشافعي تحت العنوان الذي وضعه يلحظ أنه يريد ما يحيط بالعنصر اللغوي من مؤثرات تسهم في تحديد معناه.

ويظهر أنَّ القُدامى لم يُعَرِّفوا لفظَ السياقِ تعريفًا اصطلاحيًا، وكأن كثرة تداوله لدى الدارسين بالمفهوم الذي استعمله الشافعي جعلهم لا يفكرون بوضع تعريف له، أو يكون استعمالهم لمصطلحات مرادفة له كالقرينة والحال والمقام ودلالة الكلام أسهمت في صرف النظر عن حده بتعريف[٢].

فمفهوم السياق كان واضحًا عندهم، فهم لا يحتاجون إلى وضع تعريف له، بل كانوا يعبرون عنه بمصطلحات أخرى، ومن أهم هذه المصطلحات (الموقف، والحال، والمقام).

أما المصطلحان "الموقف، والمقام" فقد وردا بنفس معنى "السياق" إذا أريد به الموقف الخارجي أو الظروف المصاحبة لأداء المقال[٣]، و"الحال" هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يميز كلامه بميزة هي مقتضى الحال[٤].

هذا، وقد تعددت تعريفات اللغويين المحدثين للسياق، فعُرِّف بأنَّه: البيئة اللغوية التي تحيط بصوت، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمة أو عبارة، أو جملة، والنظرية السياقية هي تفسير معنى الكلمة حسب السياق الذي تقع فيه[٥].

كما عُرِّف بأنه: «إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية تداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو

(١) ينظر: الرسالة، للشافعي: (١/ ٦٢).
(٢) ينظر: أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية، د/ محمود حسن الجاسم: (١٨).
(٣) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي: (٢٨).
(٤) الأسلوب، لأحمد الشايب: (١٩).
(٥) معجم علم اللغة النظري، لمحمد علي الخولي: (١٥٦).

بالتي بعدها داخل إطار السياق»[١].

كما عرَّف أ. د/ الموافي البيلي شقي السياق فقال: «السياق اللغوي: هو مجموعة العناصر اللغوية في الجملة، إنه الظروف اللغوية للتركيب اللغوي، أمَّا السياق غير اللغوي "سياق الحال أو الموقف" فهو الظروف غير اللغوية الخارجية التي تصاحب الكلام»[٢].

وأشار أ. د/ عبد النعيم خليل إلى السياق اللغوي، قال: «هو المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب»[٣].

هذا، وقد أكَّد "فندريس" على أنَّ السياق يخلق للكلمة قيمة حضورية مختلفة بعد أن يخلصها من دلالاتها السابقة المتراكمة في الذاكرة[٤].

مما سبق يتّضحُ أنَّ السياق هو الغرض، أي: مقصود المتكلم في إيراد الكلام، كما أنَّهُ ينحصر في العلاقة التي تربط الكلمة بسابقتها ولاحقتها، وما يحيط بها من ظروف وملابسات تسهم في تحديد معناها الدقيق؛ لتحقيق فهم أوسع وأدق للألفاظ الواردة في النص القرآني.

أهمية السياق في تحديد دلالات الألفاظ:

إنَّ دلالة الألفاظ تبقى غامضة قابلة للاحتمالات حتى إذا وضعت في سياق معين ظهرت دلالاتها جلية، فالدلالة على حقيقة الشيء لا تكون إلا إذا نظمت تلك الألفاظ في سياق معين، فلكل كلمة معنى في ذاتها، ومعنى في سياقها الذي ترد فيه، وغالبًا ما يكون المعنى السياقي أوسع دلالة وأشد تأثيرًا في القارئ والسامع، ذلك أن السياق يوظف عناصر الدلالة كلها من أجل التعبير عن المقصود، ويؤكد ذلك قول الإمام عبد القاهر الجرجاني: «الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ

(١) أثر السياق في فهم النص القرآني (مقالة) د/ عبدالرحمن بو درع: (٧٣).
(٢) مقدمة في علم الدلالة، د/ الموافي الرفاعي البيلي: (٧٥).
(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د/ عبد النعيم خليل: (٣٣).
(٤) اللغة، لفندريس: (٢٣١).

مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما تثبت لها الفضيلة والمزية إذا لاءمت معانيها معاني التي تليها»[(١)].

وقد ذكر ابن القيم الفائدة من السياق، قال: «السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[(٢)]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»[(٣)].

فالسياق له أثر كبير في تحديد دلالة الكلمة على وجه الدقة، وبواسطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة قد تكون مجازية، أو إضافية، أو نفسية، أو إيحائية، أو اجتماعية.

الدلالة السياقية:

«الدلالة من أهم ما شغل فكر الإنسان عبر الزمن وفي مختلف الحضارات، إذ هي أساس التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمعات البشرية، وأساس الرقي والازدهار ولذا فهي أساس علم اللغة، وما غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية إلا توضيح المعنى وإزالة الغموض»[(٤)].

وعلم الدلالة فرع من فروع علم اللغة، وهو الغاية من دراسة المستويات: الصوتية، والصرفية، والنحوية، فدراسة هذه المستويات اللغوية إنما هي توطئة وتمهيد للمعنى اللغوي، وكل عناية بأي مستوى من هذه المستويات، إنما هي عناية موصلة للمعنى، ومشاركة في تحديده والإيحاء به، كلٌ وفق مناهجه وأصوله، ومن

(١) دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، لحسن إسماعيل عبد الرازق: (١٢٢)، وينظر: الألفاظ والتراكيب في السياق القرآني، د/ عودة خليل أبو عودة، د/ تمام محمد السيد: (٤٨).

(٢) سورة الدخان، آية: (٤٩).

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم: (٤/ ٩ - ١٠).

(٤) نظرية الحقول الدلالية، لعمار شلواي: (٣٩).

ثم عُنِيَ العرب بالألفاظ، ولكن عنايتهم بالمعاني أكبر[١].

فالكلمات متعددة المعاني، والذي يحدد معنى الكلمة هو انتظامها في سياق ترد فيه، وهذا ما يُعرف بالسياق اللغوي أو المقالي، وهو تعيين معنى المفردة من خلال سياق أو نص جاءت فيه، ومن خلال وصلها بالعناصر اللغوية في الجملة بل بالنص بأكمله، غير أنَّ هناك سياقا غير لغوي أو مقاميا، وهو البعد الخارجي للنص الذي لا يقل دوره في تحديد معنى الكلمة عن سابقه، بل يتضافران لتحديد المعنى المراد[٢].

والدلالة اللغوية: تشمل الدلالة الصوتية المستمدة من طبيعة أصوات الكلمة، والدلالة الصرفية المستمدة من طبيعة الصيغ وبنيتها، والنحوية المستمدة من نظام الجملة، والمعجمية وهي الأساسية أو الاجتماعية التي وضعها السابقون وتكفلت ببيانها قواميس اللغة[٣].

والدلالة السياقية: «هي التي يُعَيِّنُها السياقُ أو البيئة اللغوية التي تحيط باللفظة وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف وهو المقام، وغير ذلك من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها الكلام»[٤].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: مستويات التحليل اللغوي، دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة، د/ عبد المنعم عبد الله حسن: (١٩٩).

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، لهادي نهر: (٢٦٣ - ٢٦٤).

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس: (٤٦).

(٤) علم الدلالة، د/فريد حيدر: (٥٦).

المبحث الأول
الدلالة اللغوية للفظ "أُمَّة"

أولًا - الأصل المحوري أو الدلالي للمادة التي اشتق منها اللفظ:

لفظ "أُمَّة" مشتق من الجذر (أَ مَ مَ) التي تدلُّ على الأصلِ والمرجعِ، والجَمَاعَةِ، والحِينِ والقَصْدِ، قال ابن فارس: «وأمَّا الهمزةُ والميمُ فأَصلٌ واحدٌ، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأَصْلُ والمَرْجِعُ والْجَمَاعَةُ والدِّينُ، وهذه الأربعةُ مُتَقارِبَةٌ، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة، وهي القَامَةُ والْحِينُ والقَصْدُ»[(١)].

أشار إلى هذا الأصلِ الدّلالي ابن منظور، قال: «الأَمُّ، بالفتح: القَصْد، أَمَّهُ يَؤُمُّه أَمّا، إذا قَصَدَه؛ وأَمَّمهُ وأْتَمَّهُ وتَأَمَّمَهُ ويَمَّه وتَيَمَّمَهُ، الأَخيرتان على البَدل...، ويَمَّمْتُه: قَصَدْته»[(٢)].

«والأُمُّ من كل شيء: عمادُه وأصلُهُ، وكلُّ شيء انضمتْ إليه أشياء من سائرِ ما يليهِ تُسَمَّيه العربُ أُمًّا»[(٣)].

هذا، وقد ذكرأ. د/محمد حسن جبل وهو يتحدث عن مادة (أمم) التي اشتق منها لفظ "أُمَّة" المعنى المحوري لهذه اللفظة، قال: «المعنى المحوري: تَضَامُّ شيءٍ أو أشياء متجانسة، أي: لحاق بعضها ببعض في حيّز يحيط بظاهرها بلطف -كما تضم تلك الجلدةُ الرقيقة مادّةَ المخ، وكما تتضامّ القامة، ومن لُطفها تكوينُها صورة متكاملة، وأُمَّة الطريق: مساحةٌ واسعة متصلة متكاملة أيضًا، وكذا الصّقع، وكذا تجمُّع النجوم في المجَرّة، وكسدّ ظاهر باب جهنم على من فيها فتضمهم، وقد قال علماء اللغة "كلّ شيء ينضم إليه سائرُ ما يليه فإن العرب تُسمى ذلك الشيء أُمًّا، والأُمّ لكل شيء: هو المجمَعُ والمضَمُّ»[(٤)].

إذن، فالمعنى المحوري الذي نص عليه علماء اللغة لهذا اللفظ يدور حول الأصل والمرجع، والقَصْد، والمجْمع والتَّضام.

---

(١) مقاييس اللغة: (أَمَّ): (١/ ٢١).
(٢) لسان العرب (أمم): (١٢/ ٢٢)، وينظر: تاج العروس (أمم): (٣١/ ٢٢٧).
(٣) معجم متن اللغة، لأحمد رضا (أمم): (١/ ٢٠٦).
(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل (أمم): (٤/ ٢٠١١).

ثانيًا - لفظ "أُمَّة" والمشترك اللفظي:

المشترك في اللغة: «يقال: شارَكْتُ فُلَانًا في الشَّيء: إذا صِرْت شَرِيكَهُ، وأَشْرَكْتُ فُلَانًا: إذا جعلته شَرِيكًا لك»[(١)].

المشترك في الاصطلاح: هو: «اللفظُ الواحدُ الدَّالُ على معنيَين مختلفين فأكثر دلالةً على السَّواءِ عند أَهْل تِلْك اللُّغَةِ»[(٢)].

وقد اختلف العلماء في وقوع المشترك اللفظي ما بين مُنكرٍ له ومُثبتٍ، لكن الحقيقة إثباته، وهو موجود في اللغة، وله دور في تحديد الدلالة، ولا داعي لذكر تكلفات المانعين في هذا الصدد؛ لأن السياق هو العمدة في التفريق بين معاني المشترك، وبه تبطل كل دعاوى المانعين لوقوعه، حتى إن بعضهم أوجب وقوعه في اللغة بدعوى أن المعاني غير متناهيةٍ والألفاظ متناهية؛ وعليه يكون الاشتراك حتميًا، وأن أهل اللغة والمعجمات اللغوية نقلوا لنا الاشتراك في ألفاظٍ يصعب أن تُحصر[(٣)]، وهي تنقل لنا الوجوه المحتملة في دلالة كل لفظ، أو السياقات المتباينة المتعددة للفظ ما.

وإذا كان المشترك لفظًا يتعلق بأكثر من معنى؛ فإنه عند وضعه في تركيب لغوي يفتقر إلى قرينة تُخصِّص أحد مدلولاته، وتزيل عنه الإبهام، وتكشف عنه اللبس؛ ذلك أن المشترك وحده عاجز عن اصطفاء معنى من معانيه، بل إن وحي السياق هو الذي يخلع عليه ما يناسبه من معانيه، ويُنحِّي عنه ما لا يناسبه من هذه المعاني؛ فالسياق هو الذي يستطيع أن يكشف لنا عن مقصود المشترك[(٤)].

ويعد السياقُ العاملَ الرئيسَ في توجيه دلالة المشترك اللفظي وتحديدها، فللسياق أثر كبير في تحديد دلالة الألفاظ المشتركة التي تحمل أكثر من معنى[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة (شرك): (٢٦٥/٣).

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: (٢٩٢/١)، تاج العروس(المقدمة): (٢٥/١).

(٣) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: (١/ ٢٩٣).

(٤) دور الكلمة في اللغة لاستيفن أولمان، ترجمة د/كمال بشر: (٧٢).

(٥) ينظر: نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، د/ المثنّى عبد الفتاح محمود: (١٦٤).

«والسياق هو الذي يُعَيِّن أحدَ المعاني المشتركة للفظ الواحد، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب»[(١)].

وينبغي أن ينظر إلى «علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها، وذلك لأن الكلمات ليست أجسامًا بلا أرواح، ولكنها حية متحركة تعطي إشعاعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المغلق منها أو المصباح الذي يهتدي بضوئه على تحديد معنى الكلمة المشتركة»[(٢)].

ولفظ "أُمَّة" من الألفاظ التي أثبت لها العلماء كثيرا من الدلالات اللغوية؛ ولهذا يُعَدُّ من ألفاظ المشترك؛ حيث أدرجه بعض علماء المشترك والوجوه والنظائر[(٣)] في مؤلفاتهم.

ذكر أبو هلال العسكري لها عشرة أوجه[(٤)]، قال: الأُمَّة: راجعة إلى القصد، وهي: الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون، وقولنا: أمة محمد، معناه: الجماعة القاصدة لتصديقه، المتفقة في أصول دينه، وإن اختلفت في الفروع، ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع، فقيل للرجل: "أمة"؛ لأنه يسد مسد الجماعة...، وهي في القرآن على عشرة أوجه:

(١) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح: (٣٠٨).

(٢) المشترك اللفظي في الحقل القرآني، د/عبد العال سالم مكرم: (٢٣)، وينظر: أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، لأحمد مصطفى الأسطل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة: (٣٠٤).

(٣) معنى الوُجُوه والنظائر: أن تكون الكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من القُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في مَوضِع نَظِير للفظ الكَلِمَة المَذْكُورَة في المَوضع الآخر، وتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الأخرى هو الوُجُوه، فَإِذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، والوُجُوه: اسْم للمعاني، ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي: (٨٣).

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: (٣١ - ٣٦)، المشترك اللفظي في الحقل القرآني: (١٠١، ١٠٢)، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا، د/ توفيق محمد شاهين: (٢٥٣ - ٢٥٥).

أولها: الجماعة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[١]، أي: جماعة، ومثله: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾[٢]، وقوْله تعالى: ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ ﴾[٥].

الثاني: المِلَّة، قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[٦]،يعني: أهل أمة واحدة، أي: ملة؛ فحذف لبيان المعنى، كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٧]،وسُمِّيتْ الملة أمة؛ لاجتماع أهلها عليها، ويجوز أن يقال: إنها سميت أمة؛ لأنَّهَا تقصد وتتبع.

الثالث: أهل الإسلام بعينه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[٨]، يعني: حالهم على عهد آدم، وما كانوا عليه في سفية نوح، ومثله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[٩]، أي: لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام.

الرابع: قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[١٠]،أي: ملتكم، فهي هاهنا: الملة بعينها، وفي الموضع الثاني: الجماعة المتفقة على الملة الواحدة.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾[١١]، يعني: سنين، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[١٢]،أي: بعد حين، وسمي الحين أمة؛ لأنه

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٢٨).
(٢) سورة البقرة، من الآية: (١٣٤).
(٣) سورة آل عمران، من الآية: (١١٣).
(٤) سورة المائدة، من الآية: (٦٦).
(٥) سورة الأعراف، من الآية: (١٥٩).
(٦) سورة البقرة، من الآية: (٢١٣).
(٧) سورة يوسف، من الآية: (٨٢).
(٨) سورة يونس، من الآية: (١٩).
(٩) سورة النحل، من الآية: (٩٣).
(١٠) سورة الأنبياء، من الآية: (٩٢).
(١١) سورة هود، من الآية: (٨).
(١٢) سورة يوسف، من الآية: (٤٥).

جماعة أوقات وشهور، وقيل: هو على حذف، أي: بعد حين أمة، أي: جماعة.

السادس: قوله تعالى: ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[1]،يعني: قوما يكونون أربى من قوم، أيْ: أكثر عددا، ومنه الربا؛ لأنه زيادة في أصل المال.

السابع: الإمام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[2]،أي: إماما يقتدى به في الخير، وقيل: الأمة الرجل العظيم، وسمي بذلك؛ لأنه يؤم في الحوائج، أي: يقصد.

الثامن: أمة كل رسول، يعني: من بعث إليه الرسل من أمثال عاد، وثمود، وقوم لوط، وهو قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾[3]،يعني: من هذه الأمم لم تبق أجلها في العذاب.

التاسع: قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[4]،يعني: أمة محمد خاصة.

العاشر: قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾، يعنى: الكفار من أمة محمد.

هذا، وقد ذكر الدَّامغاني لهذه اللفظة في كتابه "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز" تسعة أوجه، قال: تفسير أُمَّة على تسعة أوجه[5]: "عُصبة، ملة، سنين، قوم، إمام، الأمم الخالية، أُمَّة محمد، الكفار، الخلق".

وقد وافَقَ أبا هلال العسكري في ستة أوجه وهم: "ملة، سنين، قوم، إمام، أُمَّة محمد، الكفار "، بينما ذكر بعض الوجوه التي أشار إليها أبو هلال أنَّها بمعنى "جماعة" على أنَّها بمعنى "عُصْبة"، قال: فوجه منها أُمَّة، يعني: عُصْبَة، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، يعني: عُصْبَة، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾، يعني: عُصْبَة، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ أُمَّةٌ

(١) سورة النحل، من الآية: (٩٢).
(٢) سورة النحل، من الآية: (١٢٠).
(٣) سورة الحجر، من الآية: (٥).
(٤) سورة الرعد من الآية: (٣٠).
(٥) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني: (١٠١ - ١٠٢).

قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، يعني: عُصْبَة، وقد ذكر أبو هلال العسكري أنَّ لفظ "أُمَّة" في سياق هذه الآيات بمعنى: جماعة، ثم أشار الدَّامغاني إلى معنيَيْنِ آخَرَيْنِ لم يذكرهما أبو هلال، الأول: كما قال: والوجه السادس، أُمَّة: يعني: الأُمم الخالية من الكفار وغيرهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾[١]، يعني: الأمم الخالية، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٢]، يعني: الأمم الخالية، والآخر: "خَلق"، قال: والوجه التاسع، أُمَّة يعني: خلْقًا، كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٣]، يعني: خلقًا مثلكم.

كما أشار ابن الجوزي في كتابه "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" إلى هذه اللفظة، قال: وذكر أهل التفسير أن الأمة في القُرْآن على خَمْسَة أوجه[٤]: ذكر منهم "الجماعة، والملة، والإمام"، وقد سبق ذكر هذه المعاني عند أبي هلال العسكري، والدّامغاني، غير أنَّه ذكر أنَّ لفظ "أُمَّة" الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، بمعنى: حِيْن، وبمعنى الصِّنْف، في قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٥]، أَي: أَصْنَاف، فَكل صنف من الطير وَالدَّوَاب مثل بني آدم فِي طلب الْغذَاء، وتوقي المهالك ونَحْو ذلك.

وذكر ابنُ دريد لها معانيَ غير التي سبقت، قال: «والأمة لها مَواضِع، فالأمة: القرن من النَّاس، من قَوْله: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٦]، والأمة: قامة الإِنْسَان، والأمة: الطول»[٧].

(١) سورة يونس من الآية: (٤٧).
(٢) سورة فاطر من الآية: (٢٤).
(٣) سورة الأنعام، من الآية: (٣٨).
(٤) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي: (١٤٣ - ١٤٤)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري: (١/ ١٢١).
(٥) سورة الأنعام، من الآية: (٣٨).
(٦) سورة البقرة، من الآية: (١٤٣).
(٧) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (أمم): (١/ ٥٩ - ٦٠)، الصحاح، للجوهري(أمم): (٥/ ١٨٦٣-١٨٦٥)، الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي: (١/ ١٠٥)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر: (١/ ١٢١).

كما أشار ابن الأنباري في كتابه "الأضداد" إلى هذه اللفظة، قال: «والأُمَّة حرف من الأَضْداد؛ يقال: الأُمَّة للواحد الصالح الَّذي يُؤتمُّ به، ويكون عَلَماً في الخير، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾، ويقال: الأُمَّة أيضاً للواحد المنفرد بالدِّين؛ قال سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيل: قلت: يا رَسُول الله؛ إنَّ أَبي قد كان على ما رأَيت وبلَغك، أَفلا أَستغفر له؟ قال: بلى؛ فإنَّه يُبعثُ يوم القيامة أُمَّةً وَحْدَهُ[1]، ويفسَّر هذا الحرف من كتاب الله تعالى تفسيرين متضادّين، وهو قوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، فيقول بعضُ المفسِّرين: معناه كان النَّاس مؤمنين كلّهم، ويقول غيره: معناه كان النَّاس كفَّاراً كلُّهم» [2].

ومن المعاني التي أتت عليها لفظة "أُمَّة" غير المعاني التي سبق ذكرها، كما ذكر ابنُ فارس، قال: حَكَى أبو زَيْد: لا أُمَّةَ لَهُ، أي: لا دِينَ لَهُ، وكذلك كُلُّ مَنْ كان على دِينٍ حَقٍّ مُخَالِف لسائِرِ الأَدْيَانِ فهو أُمَّةٌ، وكُلُّ قوْم نُسِبُوا إلى شيء وأضِيفُوا إليه فَهُم أُمَّةٌ، وكُلُّ جِيلٍ مِن النَّاسِ أُمَّةٌ عَلى حِدَةٍ، وفي الحديث: "لَوْلا أنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فاقْتُلُوا منها الأَسْوَدَ البَهِيمَ"[3]، وقد تكونُ الأُمَّةُ جَمَاعَةَ العُلَمَاءِ، كقوْلِهِ تَعالَى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾[4]، وأُمَّةُ الرَّجُلِ: بَدَنُهُ ووَجْهُهُ، والأُمَّةُ: الطَّاعَةُ والرَّجُلُ العَالِمُ، يقال: إنَّهُ لَحَسَنُ أُمَّةِ الوَجْهِ، ولا أُمَّةَ لِبَنِي فُلَانٍ، أي: ليس لهم وَجْهٌ يَقْصِدُونَ إليه لكنَّهُم يَخْبِطُونَ خَبْطَ عَشْوَاء، وما أَحْسَنَ أُمَّتَهُ، أي: خَلْقَهُ، والأُمِّيُّ في اللُّغَةِ: المَنسُوبُ إلى ما عَلَيْهِ جِبِلَّةُ النَّاسِ لا يَكْتُبُ[5].

هذا، وقد زاد الزبيدي معاني أخرى لهذه اللفظة غير التي سبقت، قال: «ويُقال: إنَّه لَحَسَنُ الأُمَّةِ: أي: الشَّطاط، والأُمَّةُ: الوَجْهُ،والأُمَّةُ: النَّشاطُ، والأُمَّة: الطَّاعَةُ، والأُمَّةُ: العَالِمُ، والأُمَّةُ: من الوَجْهِ والطَّرِيق: مُعْظَمُهُ، ومَعْلَمُ الحُسْنِ مِنْهُ،

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد، مُسْنَدُ سَعِيدِ بن زَيْدِ بن عَمْرِو بن نُفَيْل: (٣/ ١٨٧)، حديث: (١٦٤٨).
(٢) ينظر: الأضداد، لابن الأنباري: (٢٦٩ - ٢٧٠).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في اتِّخَاذِ الكَلْبِ لِلصَّيْدِ وغَيْرِهِ: (٣/ ١٠٨)، حديث (٢٨٤٥).
(٤) سورة آل عمران، من الآية: (١٠٤).
(٥) ينظر: مقاييس اللغة (أَمَّ): (١/ ٢٧- ٣١)، اتفاق المباني وافتراق المعاني، لسليمان بن بنين بن خلف تقيّ الدين الدقيقي: (٢٣٤).

وقال أبُو زيد: إنَّهُ لَحَسَنُ أُمَّةِ الوَجْه، يَعْنُون: سُنَّتَه وصُورَتَه، وإنَّه لَقَبِيحُ أُمَّةِ الوَجْه، والأُمَّة من الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وجَماعَتُه، قال الأَخْفش: هو في اللَّفْظِ واحدٌ وفي المعنى جَمْعٌ، والأُمَّة لله تعالى: خَلْقُه، يقال: ما رأيتُ من أُمَّة الله أَحْسَنَ مِنْهُ»[(١)].

مما سَبَقَ تبيَّنَ أنَ لفظ "أُمَّة" من ألفاظ المشترك اللفظي، فقد أثبته علماء المشترك في كتبهم، والسياق له الأثر في الكشف عن المعنى المراد لهذا اللفظ في القرآن الكريم الذي كثر في تأويله اختلاف المفسرين.

ويحاول البحث الحالي إبراز أثر الدلالة السياقية في تحقيق الحد الفاصل بين معاني المشترك اللفظي، وذلك من خلال عرض اللفظ في سياق الآية الذي ورد فيها، ثم عرض المعاني التي أثبتها علماء اللغة وأهل التفسير له، ثُمَّ ترجيح المعاني التي يطلبها السياق لهذا اللفظ.

❁ ❁ ❁

(١) تاج العروس (أمم): (٣١/ ٢٣٠)، والشَّطاطُ: الطُّولُ واعْتِدالُ القامةِ، وَقِيلَ: حُسن القَوام، جاريةٌ شَطّةٌ وشاطّةٌ: بينةُ الشَّطاطِ والشِّطاطِ، بِالْكَسْرِ: وَهُمَا الِاعْتِدَالُ فِي الْقَامَةِ، والشَّطاطُ: البُعْدُ أيضا، والشِّطَاطُ، بالكَسْرِ، وهو: البَعيدُ ما بَيْنَ الطَّرَفَيْن، ينظر: الصحاح (شطط): (٣/ ١١٣٧)، المحكم والمحيط الأعظم: (٧/ ٦٠٣)، لسان العرب(شطط): (٧/ ٣٣٣)، تاج العروس (شطط): (٤١٧/١٩).

المبحث الثاني
الدّلالة السِّيَاقية للفظِ (أُمَّة) في القرآن الكريم

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾[1].

تعددت أقوال العلماء في دلالات لفظ "أُمَّة" في هذا الموضع على النحو الآتي:

١- **بمعنى الجماعة**، قال التستري: قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾، «الأمة: الجماعة»[2]، وأيَّد الطبري هذا المعنى، قال: «وأما "الأُمَّة" في هذا الموضع، فإنه يعني بها الجماعة من الناس»[3]، ووافق الطاهر بن عاشور هذا القول، قال: «والأُمَّةُ اسمٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ على مَعانٍ كثيرةٍ، والمراد منها هنا: الجمَاعَةُ العَظِيمَةُ التي يَجْمَعُهَا جامِعٌ لَهُ بَالٌ مِنْ نَسَبٍ أو دِينٍ أو زَمان»[4].

٢- **بمعنى العرب**، قال أبو حاتم: «﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾، يَعْنِيان: العَرَب»[5].

٣- **أُمةُ مُحَمَّد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال الماتريدي: «وقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾، الأُمةَ المسلمة: هي أُمةُ مُحَمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذلك: أنه لم يكن من أولاد إسماعيل رسول سوى مُحَمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فسألا: أن يجعل من ذريتهما رسولًا، وأُمة مسلمة خالصة له»[6].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٢٨).

(٢) تفسير التستري: (٣٢)، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: (٣٢)، تفسير القرطبي: (٢/ ١٢٧).

(٣) تفسير الطبري: (٣/ ٧٤)، وينظر: فتح القدير للشوكاني: (١/ ١٦٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان: (١/ ٢٨٣)، تفسير ابن بدران: (٣٤٧).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/ ٧٢١)، وينظر: التفسير المأمون، لمأمون حموش: (١/ ٤١٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (١/ ٢٣٤)، وينظر: التفسير الوسيط للواحدي: (١/ ٢١٢)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم الكرماني: (١/ ١٧٦).

(٦) تفسير الماتريدي: (١/ ٥٦٥)، وينظر: التفسير الوسيط: (١/ ٢١١)، تفسير الزمخشري: (١/ ١٨٨)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (٢/ ٦٢ - ٦٣).

وذكر مكي بن أبي طالب عدة معان للفظ الأمَّة، ثم رجَّح أن تكون الدلالة السياقية لها في هذا الموضع الجماعة، قال: «وقوله في الدعاء: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ .. والأمة هنا عُني بها الجماعة»[(١)].

٤- **كل قوم نسبوا إلى نبي، وكل جيل من الناس**، قال الواحدي: «وقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته، وكل جيل من الناس أمة على حدة»[(٢)].

٥- **أتباعُ الأنبياء**، قال السمعاني: «﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً ﴾، والأمة: أتباع الأنبياء»[(٣)].

٦- **الجماعة المخلصة**، قال النسفي: «وقوله تعالى: ﴿ ومِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، أي: واجعل من أولادِنا جماعةً مخلصةً لك بالعبادةِ والطَّاعة»[(٤)].

التحليل السياقي:

والسياق الذي يجلِّلُ المقام هنا، أن تكون (أُمَّة) هي أُمَّة النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما نصَّ عليه فريق من العلماء[(٥)]، وهذا المعنى يرجحه السياقان الداخلي (اللغوي)، والخارجي (سياق الحال).

فأمّا السياق الداخلي (اللغوي) فيتمثل في أنَّ سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا بدعوتين، **الأولى:** أن يجعل الله من ذرِّيتهما أمَّةً مسلمةً له، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾، والذُّرِّيَّةُ هنا: أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ وَٱبْعَثْ فِيهِم ﴾[(٦)]، كما أنه لا يصدق على أحد أنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا الحبيب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية: (١/ ٤٤٣ - ٤٤٤).
(٢) التفسير الوسيط: (١/ ٢١١).
(٣) تفسير السمعاني: (١/ ١٤٠)، وينظر: تفسير البغوي: (١/ ١٥١).
(٤) التيسير في التفسير للنسفي: (٢/ ٤٥١)، وينظر: روح البيان، لإسماعيل حقي: (١/ ٢٣٣)، تفسير المراغي: (١/ ٢١٦).
(٥) ينظر: تفسير الماتريدي: (١/ ٥٦٥)، التفسير الوسيط: (١/ ٢١١)، تفسير الزمخشري: (١/ ١٨٨).
(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: (١/ ٦٢٠).

والثانية: أن يبعثَ الله في ذرِّيتهما رسولًا منهم يتلو عليهم آياتِ الله ويُعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكِّيهم، وهو ما ورد في سياق الآية التالية في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[1]، قال البغوي: «أي: في الأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِن ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أَهْلِ مَكَّة رَسُولًا مِنْهُم، أي: مُرْسَلًا مِنْهُمْ، أراد به مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»[2].

وعَضَّد هذه الدلالة السياقية فخر الدين الرازي، قال: «يُرِيد مَنْ أَرَادَ بقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾لأنه المَذْكُورُ مِنْ قَبْلُ، ووَصْفُهُ لذُرِّيَّتِهِ بذلك لا يَلِيقُ إلَّا بأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»[3].

وقد كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالصفة التي دعا بها إبراهيُم وإسماعيل، وامتنَّ الله بذلك على المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[4]، فهدى الله به إلى الإسلام كثيرًا من ذرية إسماعيل، فكان ذلك من إجابة الله لذلك الدعاء[5].

وأَمَّا أنَّ الرسول هو مُحَمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والأُمَّة المسلمة هي أمة الحبيب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيدلُّ عليه مارُوِيَ عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»[6].

«وأراد بالدَّعْوَةِ هذه الآيَة...، كما أنَّ إبراهيمَ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إِنَّمَا دَعا بهذا الدُّعَاءِ بمَكَّةَ لذُرِّيَّتِهِ الذين يكُونُونَ بها وبِمَا حَوْلَهَا ولَمْ يَبْعَث الله تَعَالَى إلى مَنْ بمَكَّةَ وما

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٢٩).
(٢) تفسير البغوي: (١/ ١٦٨)، وينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: (١/ ٥٢)، تفسير أبي السعود: (١/ ١٦١).
(٣) تفسير الرازي: (٤/ ٥٨).
(٤) سورة آل عمران، آية: (١٦٤).
(٥) التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين، لعبد الرحمن بن ناصر البراك: (٢٧٢).
(٦) مسند أحمد، حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ بن عَجْلَانَ بن عَمْرِو: (٣٦/ ٥٩٦)، حديث (٢٢٢٦١).

حَوْلَهَا إِلَّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[١].

وأمّا السياق الخارجي، فيتمثل في حال الأمَّة بعد ذلك؛ حيث إنَّه «لم يكن من أولاد إسماعيل رسول سوى مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألا: أن يجعل من ذريتهما رسولًا، وأُمة مسلمة خالصة له، وإنما الرسل كانوا من أولاد إسحاق ومن نسله»[٢].

وهذا ما بيَّنه الله سبحانه وتعالى في سياق الآية الواردة في سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣]، فالأميون هنا هم العرب، والرسول المذكور هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبعث الله رسولا من ذرية إسماعيل إلا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده. لذا يتحتم أن تكون لفظةُ "أُمَّة" الواردة في سياق الآية هي أُمَّةَ الحبيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٤].

والأقوال في المراد بـ"الأُمَّة" في هذا الموضع على النحو التالي:

١- **بمعنى: عُصْبَة**، قال مقاتل بن سليمان: «﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾، يعني: عُصبة قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ من العمل»[٥].

٢- **بمعنى: الجماعة**، قال الطبري: «﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ ﴾... يعني بالأمة في هذا

(١) تفسير الرازي: (٤/ ٥٨).
(٢) تفسير الماتريدي: (١/ ٥٦٥).
(٣) سورة الجمعة، آية: (٢).
(٤) سورة البقرة، آية: (١٣٤).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: (١/ ١٤٠ - ١٤١)، وينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام: (١٥٠)، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، لعبد العال سالم مكرم: (١٠٠).

المَوْضِع: الجماعة»[1]، كما أشار الطنطاوي إلى ذلك بقوله: «"الأُمَّة" المراد بها هنا: الجماعة من الناس الذين يجمعهم أمر واحد»[2].

٣- **بمعنى: صنف**، قال الهروي: «قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾، أي: صنف قد مضى»[3].

٤- **بمعنى: جيل وجماعة**، قال القاسمي: «﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾...أُمَّةٌ، أي: جيل وجماعة»[4].

٥- **بمعنى: طائفة**، قال ابن عثيمين: قوله تعالى: «﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾، المشار إليه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومن سبق...، و"الأُمَّةُ" هنا بمعنى طائفة»[5].

التحليل السياقي:

ودلالة لفظ "أُمَّة" في هذا السياق تقتضي أن تكون بمعنى جماعة الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في الآية المتقدمة، في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[6]، وهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنوه الموحدون.

والسياق المتمثل في العناصر الآتية يؤيد ذلك:

۞ هذه الآية المذكورة ذُكِرَت في سياق الآية السابقة، ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾... الآية، وهذا ما بيَّنَهُ الرازي بقوله: «أمَّا قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ فهو إشارة

(١) تفسير الطبري: (٢/ ٥٨٨)، وينظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٩٦)، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: (١/ ١٨٠)، تفسير الثعلبي: (٤/ ١٤٩)، تفسير البغوي: (١/ ١٥٥).
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي: (١/ ٢٩٠).
(٣) الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي: (١/ ١٠٦)، وينظر: تفسير الرازي: (٤/ ٦٨).
(٤) تفسير القاسمي: (١/ ٤٠٦).
(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (٢/ ٨٠).
(٦) سورة البقرة، آية: (١٣٣).

إلى من ذكرهم الله تعالى في الآية المتقدمة، وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنوه الموحدون»[(١)]، ولما كان الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ لليهود الذين يجادلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويزعمون أنهم على الحق، وعلى ما أوصاهم به أبوهم يعقوب، رَدَّ الله سبحانه وتعالى قولهم وقول غيرهم ممن كانوا يتفاخرون بأنهم سلالة إبراهيم وإسماعيل، ولا يعملون عملهم، ولا يسلكون مسلكهم، وكانوا يحسبون مجرد النسب يكسبهم شرفا وذكرا عند الله والناس فقال تعالى مخاطبا الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾.

قال أبو زهرة: «الإشارة إلى هذه الجماعة الفاضلة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وذريتهم الذين اهتدوا بهديهم وقبسوا من نور الله تعالى بوصيتهم»[(٢)].

۞ **ويشهد لذلك سياق الحال أيضًا**؛ حيث المناسبة بين ما تضمنته هذه اللفظة من دلالة في سياق الآية المتقدمة وسبب النزول، قال الواحدي: قوله: «﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ الآية، نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فأنزل الله تعالى قوله: أم كنتم شهداء... الآية، ومعناه: بل أكنتم، كأنه ترك الكلام الأول واستفهم، فقال: أكنتم شهداء؟ أي: حاضرين، أي: أحضرتم وصية يعقوب بنيه حين حضره الموت؟ ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾...، فجمع ولده، وهم اثنا عشر رجلا وهم الأسباط وجميع أولادهم، فقال لهم: قد حَضَرَتْ وفاتي وأنا أريد أن أسألكم: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك الذي لا إله غيره، ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾، فطابت نفسه، وقوله: وإسماعيل: أدخله في جملة الآباء، وكان عم يعقوب؛ لأن العرب تسمي العم أبا»[(٣)].

۞ **والسياق الداخلي (اللغوي) يؤكد ذلك أيضًا**؛ حيث جاء الاقتران السياقي

(١) تفسير الرازي: (٤/ ٦٨)، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: (١/ ٢٨٩)، تفسير ابن بدران: (٣٥٥)، التفسير الوسيط: (١/ ١٩٩).

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة: (١/ ٤٢٠)، وينظر: تفسير الشعراوي: (١/ ٦٠٠).

(٣) التفسير الوسيط: (١/ ٢١٦ - ٢١٧)، وينظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوَّى: (١/ ٢٧٨).

أو التصاحب اللغوي للفظ "أُمَّة" بلفظ "تِلْكَ"، فهي إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون[١].

- كما جاء اسم الإشارة مؤنثًا؛ لتأنيث الخبر، جاء في التفسير الوسيط «"تِلْكَ": إشارة إلى إبراهيم وأبنائه الأنبياء، وأُنثت لتأنيث الخبر، وهو "أُمَّة"»[٢].

۞ التصاحب أو الاقتران اللغوي للفظ "أُمَّة" بلفظ "قَدْ خَلَتْ"، «ومعنى خلت: ماتت وانقضت وصارت إلى الخلاء، وهي الأرض التي لا أنيس بها، والمخاطب هم اليهود والنصارى الذين ادعوا لإبراهيم وبنيه اليهودية والنصرانية»[٣]، فجاءت المصاحبة اللغوية للفظة؛ لتدل على أنَّها جماعة مضت وانتهت، قال الطبراني: «قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾: أي لا تتّكلوا أيها اليهود على آبائكم وأسلافكم اعتمادا منكم على شفاعتهم عنكم فإنّهم جماعة قد مضت»[٤]، «لها جزاءُ ما كسبت من التوحيد والإسلام لله، ولكم جزاءُ ما كسبتم من الكفر والمعاصي»[٥].

إذَنْ، فدلالة لفظ "أُمَّة" في هذا السياق تقتضي أن تكون بمعنى جماعة الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في الآية المتقدمة وهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنوه الموحدون، ويشهد لذلك السياقان الداخلي والخارجي.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٦].

بتتبع كتب التفسير لتحديد دلالة لفظ "أُمَّة" في هذا الموضع، اتضح ما يلي:

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني: (١/ ٣٩٣)، وينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي: (٣/ ١١٢).
(٢) التفسير الوسيط: (١/ ٢٠٠)، وينظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد طه الدرة: (١/ ٣٢٥).
(٣) البحر المحيط في التفسير: (١/ ٦٤٤).
(٤) التفسير الكبير للطبراني: (١/ ٢٥٢).
(٥) التفسير الوسيط: (١/ ٢٠٠).
(٦) سورة البقرة، من الآية: (٢١٣).

١- **بمعنى: على ملَّة الإسلام**، قال يحيى بن سلام: «قوله: ... ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾، يعني على عهد آدم وأهل سفينة نوح "أُمَّةً وَاحِدَةً"، يعني: على ملَّة الإسلام وحدها»[(١)].

وقال مجير الدين العليمي: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾ متفقين على دينٍ واحدٍ وهو الإسلامُ، من آدمَ إلى نوح، ثم اختلفوا»[(٢)].

٢- **بمعنى: طائفة على دين الإسلام**، أشار ابن عثيمين إلى معنى هذه اللفظة بقوله: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾ "أمة" هنا بمعنى طائفة،... كانوا طائفة واحدة على دين واحد؛ وهذا الدين الواحد هو دين الإسلام»[(٣)].

٣- **بمعنى: على الهُدَى**، قال عبد الرزاق: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾....كانوا على الْهُدَى جَمِيعًا، فاختَلَفوا، فبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، وكان أَوَّلَ نَبِيٍّ بُعِث نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٤)].

٤- **بمعنى: مِلَّة الكفر**، قال ابن قتيبة: «﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾، أي: مِلَّة واحدة، يعني: كانوا كفارًا كلهم»[(٥)].

٥- **بمعنى: صنف من الناس في الضلال**، قال ابن قتيبة: «أصل الأمة: الصّنف من الناس والجماعة، كقوله عزوجل: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾، أي: صنفا واحدا في الضلال فبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ»[(٦)].

---

(١) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: (١٥٠).
(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن: (١/ ٢٩٧)، وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: (١/ ٤٢٧)، الأساس في التفسير: (١/ ٤٩٥)، صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني: (١/ ١٢٢).
(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (١/ ٢٦).
(٤) تفسير عبد الرزاق: (١/ ٣٣٠).
(٥) غريب القرآن لابن قتيبة: (٨١)، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: (٣٢).
(٦) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: (٢٤٨)، وينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: (٨٦)، زهرة التفاسير: (٢/ ٦٦١)، مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم: (٢٦).

٦- **بمعنى: الدين الواحد**، قال الزجاج: «قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، أي: على دين واحد»[(١)]، وهذا ما بيَّنه الطبري في تفسيره، قال: «فتأويل"الأمة" على هذا القول الذي ذكرناه "الدين"، كما قال النابغة الذبياني:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ** وهَـلْ يَـأثَمَنْ ذُو أُمَّـةٍ وهْـوَ طَـائِعُ؟[(٢)]

يعني: ذا الدين»[(٣)].

٧- **بمعنى: شريعة الحق أو الجاهلية**، وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني، قال: «﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، قال ابن عباس: كانوا على شريعة من الحق من لدن آدم إلى أن كفروا في عصر نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: كانوا أمة على الجاهلية في عصر نمرود إلى أن أرسل الله إبراهيم وذويه عليهم السلام مبشرين ومنذرين»[(٤)].

٨- **بمعنى: آدَمَ وحدَهُ، أو آدم وذريته**، قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على دينٍ واحِدٍ، أرادَ آدَمَ وَحْدَهُ، كان أُمَّةً واحدةً، قال سُمِّيَ الواحدُ بلفظ الجمع لأنه أَصْلُ النَّسْلِ وأَبُو البَشَرِ، ثم خَلَقَ الله تعَالى حَوَّاءَ ونشَرَ منهما النَّاسَ فانْتَشَرُوا وكانوا مُسْلِمِينَ إلى أن قَتَلَ قابِيلُ هابِيلَ فاختلفوا فبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ»[(٥)]، وأيَّد هذا القول عبد الرحمن المعلمي، قال: «والمراد بقوله في هذه الآية: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وذريته؛ فإنهم كانوا كل الناس، وكانوا أمة واحدة مؤمنة، إلى مدة من الزمان، الله أعلم بها»[(٦)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (١/ ٢٨٢)، وينظر: تفسير السمرقندي: (١/ ١٤٠)، التفسير البسيط، للواحدي: (٣/ ٣١٩)، تفسير السمعاني: (١/ ٢١٣).

(٢) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه: (٣٥)، وينظر: مقاييس اللغة (أمم): (١/ ٢٨)، لسان العرب (أمم): (١٢/ ٢٤).

(٣) تفسير الطبري: (٤/ ٢٧٦).

(٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني: (١/ ٣٧٦)، وينظر: تفسير الإيجي، لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي: (١/ ١٤٨).

(٥) تفسير البغوي، لأبي محمد البغوي: (١/ ٢٤٣).

(٦) ارتباط الآيات في سورة البقرة، لعبدالرحمن المعلمي: (٧/ ١٦٥)، وينظر: مختصر تفسير =

٨- **بمعنى: الصنف الواحد على مقصد واحد في الإسلام أو الكفر**، قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾...، والأمَّة هاهنا: الصنف الواحد على مقصد واحد، وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبيّ بن كعب، وقتادة، والسدّي، ومقاتل، والثاني: أنه الكفر، رواه عطية عن ابن عباس»[(١)].

التحليل السياقي:

بتمعن الدلالة السياقية للفظ "أُمَّة" الوارد في سياق الآية تبيَّن أن سياق الكلام يرشح أن يُحمل هنا على معنى "**ملة الإسلام، و شريعة الحق**"، ويستبعد السياق المعاني الأخرى، **ويؤيد ذلك عدة قرائن لغوية منها:**

۞ ما أورده الحاكم في المستدرك عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان بَيْنَ نُوحٍ وآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ على **شَرِيعَةٍ من الْحَقِّ**، فاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، قال: وكَذلكَ في قِرَاءَةِ عَبْدِ الله «كان النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا»[(٢)]، وتأويل اللفظة على هذا المعنى: كان الناس أمَّة مجتمعة على ملة واحدة وشريعة واحدة فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

۞ ما أورده الطبراني في معجمه «عن ابن عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، قال: على الْإِسْلَامِ»[(٣)].

۞ **وثمَّتَ قرينة لفظية مُستنبطة من سياق الآية تؤيد ذلك**، وهي قوله تعالى: ﴿ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ الوارد في سياق الآية ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

=
البغوي، لعبدالله بن أحمد بن علي الزيد: (١/ ٨٠).

(١) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: (١/ ١٧٧)، وينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي: (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِينَ، باب: ذِكْرُ نُوحٍ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢/ ٥٩٦)، حديث: (٤٠٠٩).

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه، (١١/ ٣٠٩)، حديث: (١١٨٣٠).

بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾، فدلَّ على أنَّ في الكلام حذف، والتقدير: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا، أي: كان الناس على دين الإسلام فاختلفوا، فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، أي: مبشّرين من أطاع و منذرين مَن عصى[1]، ويتأكد هذا أيضا بما نقل عن ابن مسعود أنه قرأ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ فٱخۡتَلَفُواْ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾.

كما بيَّن الرازي في تفسيره أنَّ الفاء في قوله: «فبعث الله النبيين تقتضي أن يكون بعثهم بعد الاختلاف ولو كانوا قبل ذلك أمة واحدة في الكفر، لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى»[2].

هذا، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى «أن الاختلاف الذي يحتاج إلى بعثة الرسل هو الاختلاف الناشئ بعد الاتفاق على الحق كما يقتضيه التَّفْرِيع على جملة ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾ بالفاء في قوله: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، وعلى صريح قوله: ﴿ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾، ولأجل هذه القرينة يتعين تقدير ﴿ فٱخۡتَلَفُواْ ﴾ بعد قوله: ﴿ أُمَّةَ وَٰحِدَةَ ﴾، لأن البعْثةَ ترتبت على الاختلاف لا على الكون أمة واحدة[3].

۞ **ومما يدلُّ على أنَّ لفظة "أمة" الواردة في هذا السياق تدلُّ على ملة الإسلام وشريعة الحق**، أنَّ الإنسانَ مجبولٌ على فطرةِ الإسلام في أصل خلقته، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[4].

وقد أشار الحبيب المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى أنَّ كل مولود يولد على الفطرة،

(١) إعراب القرآن للنحاس: (١/ ١٠٧)، وينظر: تفسير الزمخشري: (١/ ٢٥٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٣/ ٥٨١).

(٢) تفسير الرازي: (٦/ ٣٧٢)، وينظر: تفسير النسفي: (١/ ١٧٧)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٣/ ٣٣٥).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢/ ٣٠١).

(٤) الروم، من الآية: (٣٠).

فقد ورد عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الصحيحين «أنَّ أبا هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كان يُحَدِّثُ، قال النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ما مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فيها مِنْ جَدْعَاءَ»[(١)]، فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ كل مولود من البشر إنما يولد في أول مبدأ الخلق وأصل الجبلة على الفطرة السليمة، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم ينتقل عنها إلى غيرها.

ذكر هذا عبدالكريم الخطيب، قال: «قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: أصلا واحدا من طبيعة واحدة، هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم تناسلوا، وكثروا وتفرقوا في وجوه الأرض، وخضعوا لمؤثرات الحياة، ووقعت بينهم منازعات ومشاحنات، وجرى بينهم البغي والعدوان، وولدت لهم مدركاتهم مواليد من الضلال، والبهتان، ففسدت طبيعتهم، وعطبت فطرتهم، فغاثهم الله برحمته، وبعث فيهم رسله، بكلماته الشافيات، وآياته البينات، ليصححوا معتقداتهم، ويسلكوا بهم مسالك الحق، ويقيموهم على الطريق السوي»[(٢)].

كما أورد الإمام مسلم في صحيحه «عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال ذاتَ يَوْمٍ في خطْبَتِه: " ألا إنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، مِمّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وإنِّي **خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِم، وحَرَّمَتْ عَلَيْهِم ما أَحْلَلْتُ لهم...»[(٣)]، وقد دلَّ هذا الحديث أيضا على أن كل مولود يولد على الفطرة والحنيفية السمحة.

والسياق الحالي يؤيد ذلك؛ حيث إنَّ دليل القرآن واضحٌ على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على ملة الإسلام وشريعة الحق دون الكفر بالله والشرك به، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وهل يُعْرَضُ على الصَّبِيِّ الإِسْلاَمَ: (٢/ ٩٤)، حديث: (١٣٥٨).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب: (١/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجَنَّةِ وصِفَةِ نَعِيمِهَا وأَهْلِهَا، باب: الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بها فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الجَنَّةِ وأَهْلُ النَّارِ: (٤/ ٢١٩٧)، حديث: (٢٨٦٥).

فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩ ﴾[1]، فتوعَّد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعُهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحالٌ أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك[2].

وإن قيل: متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق؟، قال الزمخشري في تفسيره «قلت: عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا، وقيل: هم نوح ومن كان معه في السفينة وأَنْزَلَ معهم الكِتابَ يريد الجنس، أو مع كل واحد منهم كتابه لِيَحْكُمَ الله، أو الكتاب، أو النبىّ المنزل عليه ففيما اخْتَلَفوا فيه في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اخْتَلَفَ فيه في الحق إلَّا الَّذين أُوتُوهُ، إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف، أي: ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب، وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدّة الاختلاف واستحكامه بَغْياً بَيْنَهُمْ، أي: حسدًا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم، ومِن الحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه، أي: فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف»[3].

۞ ومن سياق الحال أيضا الذي يوطِّد معنى ملة الإسلام وشريعة الحق « أن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما بعثه الله رسولا إلى أولاده، فالكل كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى، ولم يحدث فيما بينهم اختلاف في الدين، إلى أن قتل قابيل هابيل بسبب الحسد والبغي، وهذا المعنى ثابت بالنقل المتواتر، والآية منطبقة عليه، لأن الناس هم آدم وأولاده من الذكور والإناث، كانوا أمة واحدة على الحق، ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد، كما حكى الله عن ابني آدم، قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ

(١) سورة يونس، آية: (١٩).
(٢) تفسير الطبري: (٤/ ٢٨٠).
(٣) تفسير الزمخشري: (١/ ٢٥٦)، وينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٣/ ٣٣٥).

بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾[١]، فلم يكن ذلك القتل والكفر بالله إلا بسبب البغي والحسد، وهذا المعنى ثابت بالنقل المتواتر والآية منطبقة عليه»[٢].

ومن سياق الحال أيضا أنَّ الله سبحانه وتعالى لما أهلك قوم نوح بالطوفان، كان أولئك النفر الناجون أمة واحدة قائمة على الحق[٣].

وهذا كله يؤيده القرينة العقلية وهي « إذا كانت النظريات مستندة إلى مقدمات تعلم صحتها بضرورة العقل، وإلى ترتيبات تعلم صحتها بضرورة العقل، وجب القطع بأن العقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج، فأما إذا عرض له سبب خارجي، فهناك يحصل الغلط فثبت أن ما بالذات هو الصواب وما بالعرض هو الخطأ، وما بالذات أقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان أيضا، هذا هو الأظهر فثبت أن الأولى أن يقال: كان الناس أمة واحدة في الدين الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك لأسباب خارجية وهي البغي والحسد، فهذا دليل معقول ولفظ القرآن مطابق له فوجب المصير إليه»[٤].

وبعد، فتعانَقَ السياق اللغوي ـ بكل عناصره المذكورة ـ مع السياق الخارجي والعقلي ليقرر أن المراد بلفظ "أمة" هنا ملة الإسلام وشريعة الحق.

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٥].

بالرجوع إلى كتب اللغة وآراء المفسرين؛ لبيان دلالة لفظ "أُمَّة" في هذا السياق، **ظهر ما يلي:**

(١) سورة المائدة، من الآية: (٢٧).
(٢) تفسير الرازي: (٦/ ٣٧٢- ٣٧٣).
(٣) التحرير والتنوير: (٢/ ٣٠٢)، وينظر: تفسير الرازي: (٦/ ٣٧٣).
(٤) تفسير الرازي: (٦/ ٣٧٣).
(٥) سورة آل عمران: (١٠٤).

١- **بمعنى: عُصْبَة**، قال مقاتل بن سليمان: « ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ ﴾، يعني: عُصْبة»[١].

٢- **بمعنى: مُعَلِّمون للخير**، قال ابن قتيبة: « ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾، أي: مُعَلِّمون للخير»[٢].

٣- **بمعنى: جماعة**، قال الطبري: «القول في تأويل قوله: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾، يعني بذلك جل ثناؤه: ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة، أي: جماعة يدعون الناس إلى الخير، يعني: إلى الإسلام وشرائعه»[٣]، وقال أبو زهرة: «وقوله: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾، أي: جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم»[٤].

٤- **بمعنى: خاصَّةُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله، وخَاصَّةُ الرُّوَاةِ**، أورد الطبري في تفسيره عن الضحاك: «﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾، قال: هم خاصة أصحابِ رسول الله، وهم خاصَّة الرواة»[٥]، يعْنِي: المجَاهِدِين والعُلَمَاء»[٦].

٥- **بمعنى: طائفة**، قال النسفي: «قوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ ﴾، قوله: ﴿ أُمَّةٌ ﴾، أي: طائفةٌ»[٧]، وأكد ذلك المراغي، قال: «﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ ﴾، أي:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: (١/ ٢٩٣).

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة: (١٠٨).

(٣) تفسير الطبري: (٧/ ٩٠)، وينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: (٩٦)، الهداية الى بلوغ النهاية: (٢/ ١٠٨٨)، المفردات في غريب القرآن: (٨٦)، تفسير الحداد: (٢/ ١٠٧)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: (٢/ ٨٠)، روح البيان، لإسماعيل حقي: (٢/ ٧٣).

(٤) زهرة التفاسير: (٢/ ٦٦١)، وينظر: الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الإبياري: (٨/ ٢٥)، مباحث في التفسير الموضوعي: (٢٦).

(٥) تفسير الطبري: (٥/ ٦٦٢)، وينظر: تفسير ابن كثير: (٢/ ٩١)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي: (٢/ ٢٨٩).

(٦) تفسير ابن كثير: (٢/ ٩١).

(٧) التيسير في التفسير للنسفي: (٤/ ١٩٠)، وينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (٢/ ٢٠١).

ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[١].

التحليل السياقي:

وبعد عرض هذه المعاني تبيَّن أنَّ سياقَ الكلام يصطفي معنى "جماعة"، لكن أهي جماعة العلماء خاصة وتكون "مِنْ" في سياق قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ للتبعيض، أم جماعة المسلمين عامة وتكون "مِنْ" في سياق الآية صِلة لَيْسَت للتَّبعِيض ؟

من خلال مدارسة أقوال العلماء وتتبع آراء المفسِّرين؛ للوقوف على المعنى الذي يقتضيه السياق في هذا الصدد، أرى أنَّ المعنى الأليق للسياق **جماعة المسلمين عامة**، و "مِنْ" في سياق الآية صِلة لَيْسَت للتَّبعِيض وقد أشار إلى هذا بعض علماء التفسير:

قال الواحدي: «قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ الخطاب للمؤمنين في هذه الآية، أي: كونوا أمة يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ»[٢]، وقال ابن أبي زمنين: «قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ قيل: معْنَاهُ: ولتكونوا كلكُمْ أمة»[٣]، كما أكَّد البغوي هذا المعنى، قال: «﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾، أَيْ: كُونُوا أُمَّةً، "مِنْ" صِلَةٌ لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، كقوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[٤]، لم يُرِدِ اجْتِناب بعض الأوثان بل أراد اجتنبوا جميع الأَوْثَان، واللام في قوله: ﴿ وَلْتَكُن ﴾ لام الأمرِ، يَدْعُونَ إلى الخير: إلى الإِسْلَامِ»[٥].

(١) تفسير المراغي: (٤/ ٢٢)، وينظر: تفسير العثيمين: آل عمران: (٢/ ٥)، صفوة التفاسير: (١/ ٢٠١).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي: (١/ ٤٧٤)، وينظر: تفسير السمعاني: (١/ ٣٤٧)، إعراب القرآن، لأبي الحسن الباقولي: (٢/ ٦٦٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: (١/ ٣٠٨)، وينظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي: (٤٨)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: (١/ ٣١٢).

(٤) سورة الحَجِّ من الآية: (٣٠).

(٥) تفسير البغوي: (١/ ٤٨٦).

ويرشِّح لهذا المعنى عدة قرائن لغوية، منها:

۞ قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1]، فالسبب في لعنةِ هؤلاء الكافرين وذَمِّ فعلهم، والطّرد من رحمتهِ: أنَّهُم كانوا لا يَنْهى بعضهم بعضا عن أيّ مُنكر فعلوه، قال الطبري: كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله لا ينتهون عن منكر فعلوه، ولا ينهى بعضهم بعضًا[2]، فالنهي عام عن أي منكر يفعلونه، ولا يقتصر النهي على جماعة معينة دون أخرى.

۞ وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[3]، أي: قُلْ يا مُحَمَّدُ: هذه الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إليها والطَّرِيقَةُ الَّتي أنا عَلَيْهَا، سَبِيلِي، أي: سُنَّتِي ومِنْهَاجِي... ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾، أي: ومَنْ آمَنَ بِي وصَدَّقَنِي أَيْضًا يَدْعُو إلى الله[4]، فكل من آمن بالحبيب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واتَّبع سنته يدعو إلى الله، كلٌّ على قدر استطاعته.

۞ كما أورد الإمام في مسلم صحيحه «عن طارق بن شِهَاب، قال: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بالْخُطْبَةِ يَوْمَ العِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ، فقام إليه رَجُلٌ، فقال: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فقال: قد تُرِكَ ما هنالك، فقال أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هذا فقد قَضَى ما عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: "مَنْ رَأَى منكم مُنْكَرًا فلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبِلِسَانِهِ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبِقَلْبِهِ، وذلك أَضْعَفُ الإيمَانِ"»[5]، فالكلُّ مكلَّفٌ بتغيير المُنْكر، فالإنسان إذا لم يستطع تغييره بيده، أو بلسانه، فأضعف الإيمان أن ينكر ذلك بقلبه.

۞ وأورد الترمذي في سننه «عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أنه قال: أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّكُمْ

(١) سورة المائدة، آية (٧٨، ٧٩).
(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٩٦).
(٣) سورة يوسف، آية: (١٠٨).
(٤) تفسير البغوي: (٢/ ٥١٨)، وينظر: تفسير الزمخشري: (٢/ ٥٠٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمَان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة: (١/ ٦٩)، حديث: (٤٩).

تَقْرَءُونَ هذه الآيَةَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ ﴾[١]، وإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بعِقابٍ منه»[٢].

۞ كما أورد أبو داود في سننه أنَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ما مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فيهم بالمَعَاصِي، ثم يَقْدِرُونَ على أَنْ يُغَيِّرُوا، ثم لا يُغَيِّرُوا، إلا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله مِنْهُ بعِقَابٍ»[٣].

۞ ومن ذلك أيضا ما أورده أحمد في مسنده «عن حُذيفَةَ بن اليَمَانِ، أن النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالْمَعْرُوفِ، عن الْمُنْكَرِ، أو لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثم لَتَدْعُنَّهُ فلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[٤].

۞ كما أورد الطبراني في معجمه «عن أَنَسٍ قال: قُلْنَا: يا رَسُولَ الله لا نَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ حَتَّى نَعْمَلَ به ولا نَنْهَى عن الْمُنْكَرِ حَتَّى نَجْتَنِبَهُ كُلَّهُ فقال رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا به وانْهَوْا عن الْمُنْكَرِ وإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ»[٥].

وبعد هذا العرض من الشواهد والأدلة التي أشارت إلى أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر على جماعة العلماء خاصة، بل يشمل كل مكلف من جماعة المسلمين عامة بما فيهم العلماء وغيرهم، كُلٌّ على قدر استطاعته، قال ابن عطية: «والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه وأن لا يخالط ذا المنكر»[٦].

(١) سورة المائدة، من الآية: (١٠٥).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الفتن، باب: ما جاء في نُزُولِ العَذَابِ إذا لَمْ يُغَيَّرِ الْمُنْكَر: (٤/ ٣٧)، حديث: (٢١٦٨).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب: الْمَلَاحِم، باب: الْأَمْرِ وَالنَّهْي: (٤/ ١٢٢)، حديث: (٤٣٣٨).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده، أحاديث رجال من أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَدِيث: حذيفة بن اليمان عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: : (٣٨/ ٣٣٢)، حديث: (٢٣٣٠١).
(٥) أخرجه الطبراني في معجمه: (٢/ ١٧٥)، حديث: (٩٨١).
(٦) تفسير ابن عطية: (٢/ ٢٢٤).

ذكر أبو زهرة هذا، قال: «وإذا كان ذلك الواجب على الأمة كلها، فهو يتفاوت بتفاوت مقدار ما أوتيه كل واحد من العلم والقوة، فعلى أولياء الأمر أن يرتبوا أمر الدعوة الإسلامية، وبيان الحقائق، ووضع النظم الزاجرة المانعة من الشر، أن يتفاقم أمره، ويشتد سيله، ويكون على العلماء واجب بيان الشرع في دروس عامة وخاصة، وبيان الحق في كل أمر يَجدّ في شئون الناس، وبيان طرق الدعوة إلى سبيل الله، ويكون على العامة كل في محيط وجوده وبمقدار طاقته أن يرشد وأن ينصح، فمن رأى رجلا يرفثُ في القول، أو يجرح كرامات الناس، أرشده ونهاه، ومن رأى رجلا يفطر في رمضان وعظه وهداه، ومن رأى رجلا لا يصلي حثه على الصلاة، على أن يكون ذلك برقيق القول، لا بالجفوة والعنف فإن الجفوة لا تجدي بل تبعد، والمودة تجدي وتقرب، وبهذا تكون الأمة كلها تتواصى بالحق، وتتواصى بالصبر والهداية»[(١)].

وقد يكون الأمر بالمعروف والنهي عن النكر فرض عين على الإنسان، وذلك كأن يرى فتاةً يَعْتَدِي عليها سارقٌ، أو رجلا يتعرض للظلم والسرقة- وهو قادرٌ على دفع ذلك-، فعليه أن يدفع هذا المنكر، فقد أورد البخاري في صحيحه «عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا" فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله، أَنْصُرهُ إذا كان مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إذا كان ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟، قال: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[(٢)].

وروي عن سالم أنَّ «عَبْدَ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولاَ يُسْلِمُهُ، ومَنْ كان في حاجَةِ أَخِيهِ كان الله في حاجَتِهِ»[(٣)]، قال المُظْهِري: «قوله: "ولا يُسْلِمُه"، بضم الياء وسكون السين، أي: ولا يَخْذُله عن النُّصْرة، ولا يَتركُه في أيدي الأعداء، بل يُخلِّصُه من

(١) زهرة التفاسير: (٣/ ١٣٤٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإكراه، باب: يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: إِنَّهُ أَخُوهُ إِذا خاف عليه القَتْلَ أَوْ نَحْوَهُ: (٩/ ٢٢)، حديث: (٦٩٥٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإكراه، باب: يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: إِنَّهُ أَخُوهُ إِذا خاف عَلَيْهِ القَتْلَ أَوْ نَحْوَهُ: (٩/ ٢٢)، حديث (٦٩٥١).

أيديهم»[١]، «ولهذا قال العلماء: -رحمهم الله - يجب على الإنسان أن يدافع عن أخيه في عرضه وبدنه وماله»[٢].

وهذا ما أشار إليه عبدالكريم الخطيب، قال: «قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ دعوة للأمة الإسلامية كلها أن تكون على تلك الصفة، أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، ويكون معنى (من) في (منكم) للبيان لا للتبعيض، وهذا ما يناسب قول الله تعالى بعد هذه الآية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٣]»[٤].

كما وطَّد هذا المعنى فضيلة الشيخ الشعراوي، قال: «هذه الآية تأمر بأن تكون كل جماعة المسلمين أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أي أن هذه الآية تطالب كُلَّ أمة المسلمين بذلك، فلا تختص جماعة منها فقط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل الواجب أن تكون أمة المسلمين كلها آمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر، فمن يعرف حكما من الأحكام عليه أن يأمر به»[٥].

وأخيرًا، أرى أنَّ السياق اصطفى لهذه اللفظة من بين الدلالات التي سبق ذكرها "جماعة المسلمين عامة"؛ حيث إنَّهُ لا نجاة للأمة الإسلامية إلا إذا تواصَوْا بالحق وتواصَوْا بالصبر، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر كُلٌّ على قدر استطاعته.

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾[٦].

باستقراء كتب اللغة وآراء المفسرين؛ لبيان الدلالة السياقية للفظة "أُمَّة" في

(١) المفاتيح في شرح المصابيح، لمظهر الدين الزيداني: (٥/ ٢١٦).
(٢) شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين: (٢/ ٥٦٧).
(٣) سورة آل عمران من الآية: (١١٠).
(٤) التفسير القرآني للقرآن: (٢/ ٥٤٢).
(٥) تفسير الشعراوي: (٣/ ١٦٦٤)، وينظر: التفسير الموضوعي لجامعة المدينة العالمية: (١٣).
(٦) سورة هود، من الآية: (٨).

هذا النص القرآني، **بَدا ما يلي:**

١- بمعنى: أَجَلٍ مَعْدُود، وسنين معلومة، وحين موقوت، وحين بغير توقيت، ووقت محدود، وحِين وزمان، والمدة من أوقات الزمن، وجماعة من الأوقات محصورة، أشار إلى هذه المعاني المتقاربة علماء القرآن والتفسير، قال مُجَاهِد: قوله تعالى: «﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، يَعْنِي: إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ»(١)، وقال مقاتل: «﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾، يعنى: كفار مكة، ﴿ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، يعني: إلى سنين معلومة»(٢)، وقال أبو عبيدة: قوله تعالى: «﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: إلى حين موقوت وأجل»(٣)، وقال ابن قتيبة: قوله تعالى: «﴿ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: إلى حين بغير توقيت»(٤)، كما بيَّن الطبري القول في تأويل ذلك، قال: «قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذابَ فلم نُعَجِّلْهُ لهم، وأَنْسَأْنَا في آجالهم إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ، ووقت محدود وسنين معلومة،... وإنما قيل للسنين المعدودة والحين، في هذا الموضع ونحوه: أمة، لأن فيها تكون الأُمَّةُ، وإنما معنى الكلام: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها»(٥)، وسار على دربهم الزجاج، قال: قوله تعالى: «﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: إلى أجل وحين معلوم»(٦)، ووافقهم الثعلبي في هذا المعنى، قال: قوله تعالى: «﴿ وَلَئِنْ

(١) تفسير مجاهد: (٣٨٥)، وينظر: تفسير عبد الرزاق: (٢/ ١٨٣).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: (٢/ ٢٧٢)، وينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه: (١٥١)، تفسير السمرقندي: (٢/ ١٤٠)، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: (٣٣).
(٣) مجاز القرآن: (١/ ٢٨٥)، وينظر: معانى القرآن للأخفش: (١/ ٣٨٠).
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة: (٢٠٢).
(٥) تفسير الطبري: (٣٣٦/١٢ - ٣٣٧)، وينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل: (٧/ ٢٢١).
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٣/ ٤٠)، وينظر: الوجيز، للواحدي: (٥١٤)، التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي: (٨/ ١٦٨).

أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: إلى أجل ممدود ووقت محدود»[١].

٢- **بمعنى: انقضاء أمة وفنائها، أو الوقت المقصود**، ذكر الرازي هذين المعنيين، قال: «**الأول:** أن الأصل في الأمة هم الناس والفرقة، فإذا قلت: "جاءني أمة من الناس"، فالمراد: طائفة مجتمعة، قال تعالى: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[٣]، أي: بعد انقضاء أمة وفنائها فكذا هاهنا قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: إلى حين تنقضي أمة من الناس انقرضت بعد هذا الوعيد بالقول، لقالوا: ماذا يحبسه عنا وقد انقرض من الناس الذين كانوا متوعدين بهذا الوعيد؟ وتسمية الشيء باسم ما يحصل فيه كقولك: كنت عند فلان صلاة العصر، أي: في ذلك الحين، **الثاني:** أن اشتقاق الأمة من الأم، وهو القصد، كأنه يعني الوقت المقصود بإيقاع هذا الموعود فيه»[٤].

٣- **بمعنى: طائفة من الأيام قليلة**، قال أبو السعود: «﴿ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، إلى طائفة من الأيام قليلةٍ لأن ما يحصُره العدُّ قليلٌ»[٥].

٤- **بمعنى: أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام**، قال الجزائري: «﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، أي: ولئن أخرنا، أي: أرجأنا ما توعدناهم به من عذاب إلى أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام»[٦].

(١) تفسير الثعلبي: (١٤/ ٣٢٤)، وينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: (٣/ ٣٢٤)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي: (٣/ ١٧)، التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري: (٣/ ١٠٠)، مختصر تفسير البغوي: (٤/ ٤٢٠). التفسير الوسيط للواحدي: (٢/ ٥٦٥).

(٢) سورة القصص، من الآية: (٢٣).

(٣) سورة يوسف، من الآية: (٤٥).

(٤) تفسير الرازي: (١٧/ ٣٢١).

(٥) تفسير أبي السعود: (٤/ ١٨٩)، وينظر: روح البيان: (٤/ ١٠١)، فتح القدير للشوكاني: (٢/ ٥٤٨)، تفسير الألوسي: (٦/ ٢١٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن: (٦/ ١٤٦).

(٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (٢/ ٥٢٤).

التحليل السياقي:

بتحليل الأقوال السابقة للوقوف على المعنى الأليق للسياق، استبان لي أنَّ المعانيَ السابقةَ التي تدور حول (الوقت، والحين، والأجل، والزمان، والسنين)، لا تخلو من وجاهة، فكُلُّها تدلُّ على أجل معلوم ووقت محدود يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويكون المعنى: ولأن أخرنا يا محمد عن هؤلاء المكذبين العذاب الموعود الذي أَنذرهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بوقوعه إن استمروا في كفرهم وعنادهم إلى وقت معلوم عندنا، كما هو شأْننا في تحديد الآجال ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[1]، ليقولن هؤلاء الكفار منكرين مستهزئين ما يحبسه، أي: أيُّ شيءٍ يمنعُ نزول العذاب بنا؟، يقصدون بذلك التكذيب بوقوعه، فيرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٨ ﴾[2]، أي: ليس يصرفه عنهم أحد إذا جاء وقته[3]، وعبرَّ بلفظ الماضي في قوله تعالى: (حَاقَ) «تنبيهًا على تحقُّق وقوعه، فكأنَّه قد حاق بهم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ؛ أي: ويَحِيقُ ويُحيط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلُونه استهزاءً منهم، ووَضَع يستهزئون مكانَ يستعجلون؛ لأنَّ استعجالَهم كانَ استهزاءً منهم»[4].

وثمَّتَ قرينة لغوية تؤيد هذا المعنى، فقد أورد الحاكم في مستدركه «عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ ﴾، قال: إلى أَجَلٍ مَعْدُودٍ»[5].

وورود لفظ "أُمَّة" بمعنى سنين معلومة أوحين وزمان، لم يرد في القرآن الكريم إلَّا في موضعين، الأول- قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾، يعني: إلى سنين معدودة، - وهو الموضع الذي بين أيدينا محلِّ الدراسة -، والثاني- في سورة يوسف

(١) سورة الرعد، من الآية: (٣٨).
(٢) سورة هود، من الآية: (٨).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط، للواحدي: (٢/ ٥٦٥)، تفسير السمعاني: (٢/ ٤١٥)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي: (٤/ ١٦٩).
(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي، لمحمد الأمين الهرري: (١٣/ ١٧).
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب: النكاح، حديث (٣٣٠٨): (٢/ ٣٧٢).

حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾، يعني بعد سنين، وليس في القرآن غيرهما[١].

وأخيرًا، فإنَّ السياقَ يصطفي من بين هذه المعاني السابقة، المعاني التي تدور حول (الوقت، والحين، والأجل، والزمان، والسنين)، فيكون تأخير العذاب عن المكذبين الكافرين إلى وقت معلوم يعلمه الله تعالى وحده، وهذا العذابُ واقع لا محالة.

الموضع السادس:

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةَ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾[٢].

بتقصّي أقوال العلماء وآراء المفسرين؛ للوقوف على الدلالة السياقية للفظة "أُمَّة" في سياق هذه الآية، **تبيَّنَ ما يلي:**

١- **بمعنى: على ملَّة الإِسْلام وحدها**، قال مقاتل: «قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةَ وَٰحِدَةٗۖ ﴾ يعني: على ملَّة الإِسْلام وحدها»[٣].

٢- **بمعنى: جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد**، قال الطبري: «ولو شاء ربك- يا محمد- لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد»[٤].

٣- **بمعنى: على هدايته**، قال الزجاج: «قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةَ

(١) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه: (١٥١)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: (١٤٤)، التبيان في تفسير غريب القرآن: (٩٣).
(٢) سورة هود، من الآية: (١١٨).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: (٢/ ٣٠١)، وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروزآبادي: (١٩٢)،السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني: (٢/ ٨٥)، تفسير العثيمين: (١٨٨).
(٤) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٣١)، وينظر: معاني القرآن، للنحاس: (٣/ ٣٨٨)، الهداية الى بلوغ النهاية: (٥/ ٣٤٨٧)، أحكام القرآن لابن العربي: (٣/ ٣١)، اللباب في علوم الكتاب: (١٠/ ٦٠٠)، أوضح التفاسير، لمحمد عبداللطيف الخطيب (١/ ٢٧٩)، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد علي طه الدرة: (٤/ ٥٢٨).

وَٰحِدَةً﴾، أي: لو شاء لجمعهم على هدايته، كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ[1]﴾»[2].

٤- **بمعنى: على مِلَّة الإسلام وحدها، أو أهل دين واحد - أهلُ ضلالةٍ أو أهلُ هُدى-، ذكر** الوجْهَيْنِ الماوردي، قال: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، فيه وجهان: أحدهما: على ملة الإسلام وحدها، الثاني: أهل دين واحد،أي: أهل ضلالة أو أهل هدى»[3].

٥- **بمعنى: مجتمعةً على الحق ودين الإسلام**، قال أبو السعود: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، أي: مجتمعةً على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحدٌ»[4].

٦- **بمعنى: حال واحدة من الإيمان، أو الكفر، ومن الهدى، أو الضلال**، أشار عبد الكريم الخطيب إلى ذلك، قال: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، أي: على حال واحدة من الإيمان، أو الكفر، ومن الهدى، أو الضلال، فليس ذلك بعزيز على الله، ولكنه- سبحانه- خالف بينهم، فجعلهم مؤمنين وكافرين، ومهتدين وضالين، كما يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ[5]﴾»[6].

التحليل السياقي:

بعد عرض هذه المعاني التي أتت عليها لفظة "أُمَّة"، نجد أن سياقَ الكلامِ

(١) سورة الأنعام، من الآية: (٣٥).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٣/ ٨٣).
(٣) تفسير الماوردي: (٢/ ٥١١)، وينظر: تفسير العز بن عبد السلام: (٢/ ١٠٧)، تفسير القرطبي: (٩/ ١١٤)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٤/ ٤٩١)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (٢/ ٥٦٧).
(٤) تفسير أبي السعود: (٤/ ٢٤٨)، وينظر: روح البيان: (٤/ ٢٠١)، تفسير الألوسي: (٦/ ٣٥٦)، تفسير القاسمي: (٦/ ١٤٠).
(٥) سورة التغابن، من الآية: (٢).
(٦) التفسير القرآني للقرآن: (٦/ ١٢١٣).

يصطفي معنى "ملَّة الإِسْلام وحدها"، فلا يستقيم الكلام، ولا يتم السياق إلّا بهذا المعنى، ويكون المعنى على ذلك: ولو شاء ربُّك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة الْإِسْلام وحدها، ويؤيّدُ لهذا المعنى بعض القرائن، منها:

۞ **قرينة لفظية**، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾، يعني: أهل الباطل من أصحاب الديانات الأخرى غير ملة الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس وأهل الشّرك[١]، فالله سبحانه وتعالى لم يضطر الناسَ إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكَّنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا، فلذلك قال: ﴿ وَلا يَزالُونَ مُخْتلفينَ ﴾[٢]، وقد أشار إلى ذلك الطبري، قال: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله»[٣].

وأيَّد هذا المعنى الزمخشري، قال: «﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾ إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۗ ﴾، ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأوّل وتضمنه، يعنى: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره»[٤].

۞ **ويرشِّح لهذا السياق أيضا:** أنَّ الله تعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٥]، قال الطبري: «في ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم

(١) تفسير السمعاني: (٢/ ٤٦٨)، وينظر: تفسير الخازن، لأبي الحسن الخازن: (٢/ ٥٠٧)، اللباب في علوم الكتاب: (١٠/ ٦٠٠).
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٨/ ٢٣٢).
(٣) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٣٤)، وينظر: تفسير ابن عطية: (٣/ ٢١٥).
(٤) تفسير الزمخشري: (٢/ ٤٣٨).
(٥) سورة هود، من الآية: (١١٩).

يوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم»[(١)]،

كما أشار الخازن إلى ذلك، قال: «وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية»[(٢)].

«فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربُّهم، وأن يكون المتمتِّعون هم الملومين؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم، - إلا من رحم ربك-، فهداه للحقّ ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد خلقهم، فمعنى اللام في قوله: "ولذلك خلقهم" بمعنى: "على" كقولك للرجل: أكرمْتُكَ عَلى بِرّك بي، وأكْرَمْتُكَ لِبِرِّك بي»[(٣)].

فالله سبحانه وتعالى ترك للناس حُرِّية الإرادة التي يقوم معها التكليف، ولو خلق الله الناسَ مجبورين على الإسلام للزم من ذلك عدم الاختلاف، ولكن الله تعالى ترك الحرّية في الاختيار، فنتج عن ذلك الاختلاف، وكان في الناس المؤمن والكافر، واليهودي، والنصراني، والكلُّ يلقى جزاء منهجه الذي اختار؛ لذا أرى أنَّ سياقَ الكلامِ يصطفي معنى "ملَّة الإِسْلام وحدها"، فلا يستقيم الكلام، ولا يتم السياق إلّا بهذا المعنى، ويكون المعنى على ذلك: ولو شاء ربُّك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة الإِسْلام.

الموضع السابع:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ ﴾[(٤)].

(١) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٣٥).
(٢) تفسير الخازن: (٢/ ٥٠٨).
(٣) تفسير الطبري: (١٥/ ٥٣٨).
(٤) سورة النحل، آية: (١٢٠).

باستقراء كتب اللغة وآراء المفسرين؛ لبيان الدلالة السياقية للفظة **"أُمَّة"** في سياقه الوارد فيه، **بَدا ما يلي:**

١- **بمعنى: مُعلمًا للخير**، قال الفراء: «قوله: ﴿ أُمَّةَ قَانِتًا ﴾، أي: مُعلمًا للخير»[(١)]، وذكر الطبري ذلك، قال: «القَوْلُ في تَأْوِيلِ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، يقول تعالى ذِكْرُهُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الله كَانَ مُعَلِّمَ خَيْرٍ يَأْتَمُّ بِهِ أَهْلُ الْهُدَى»[(٢)].

٢- **بمعنى: على الإسلام**، قال ابن أبي حاتم، قوله: «﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، قال: كان على الإسلام ولم يكن في زمانه مِنْ قَوْمِهِ أحد على الإسلام غيره، فلذلك قال الله: كَانَ أُمَّةً قَانِتًا»[(٣)].

٣- **بمعنى: مؤمنًا** وحده، قال ابن أبي حاتم، قوله: «﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، قال: كان مؤمنًا وحده والناس كفار كلهم» [(٤)].

٤- **بمعنى: الأُمَّة والجَمَاعة، أو مَجْمَع كُلِّ خير**، ذكر المعنَيَيْنِ الماتريدي، قال: «ويحتمل أن يكونَ سَمَّاهُ: أُمَّة، لما كان كالأمة والجماعة من القيام مع الأعداء؛ لأنه، وإن كان منفردًا وحده، فكان قيامه مع الأعداء والأكابر منهم كالجماعة والأمة، والممتنع عنهم كالمتفرد، وأصل الأمة، قيل: الجماعة والعدد، ويحتمل قوله: ﴿ كَانَ أُمَّةً ﴾ أي: مجمع كل خير وكل طاعة؛ لما عمل هو من الخير عمل الجماعة، واجتمع فيه كل خير»[(٥)].

٥- **بمعنى: إمام يقتدي به الناس**، قال ابن قتيبة: «قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً

(١) معاني القرآن للفراء: (٢/ ١١٤).
(٢) تفسير الطبري: (١٤/ ٣٩٢)، وينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لأبي أحمد القصاب: (٢/ ١٠٥).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٧/ ٢٣٠٦)، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٥/ ١٧٦)، فتح القدير للشوكاني: (٣/ ٢٤٣).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (٧/ ٢٣٠٦)، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٥/ ١٧٦)، تفسير الماتريدي: (٦/ ٥٨٩)، تفسير البغوي: (٥/ ٥٠).
(٥) تفسير الماتريدي: (٦/ ٥٩٠)، وينظر: لطائف الإشارات، للقشيري: (٢/ ٣٢٧).

قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾، أي: إماما يقتدي به الناس، لأنه ومن اتبعه أمّة، فسمّي أمّة؛ لأنه سبب الاجتماع، وقد يجوز أن يكـون سمّي أمّة؛ لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكــون مثله في أمة، ومن هذا يقال: فلان أمّة وحده، أي: هو يقوم مقام أمة»[(١)].

٦- **بمعنى: القائم مقام جماعة في عبادة الله**، قال الراغب الأصفهاني: «قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، أي: قائما مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة»[(٢)].

٧- **بمعنى: الإمام الجامع للخيرات التي تكون في أمة**، قال النسفي، قوله: «﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، أي: إمامًا يُقتدَى به، وقيل: أي: كان بنفسه وحده يأتي بالخيرات التي تكون من أمَّة تامَّة»[(٣)].

٨- **بمعنى: أنه كان وحده أمّة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير، أو بمعنى: مأموم، أي: يؤمّه الناس؛ ليأخذوا منه الخير**، ذكر الزمخشري الوجْهَيْن، قال: «﴿ كَانَ أُمَّةً ﴾، فيه وجهان، **أحدهما:** أنه كان وحده أمّــة من الأمــم لكمــاله في جميع صفــات الخــير، **كقوله:**

وَلَــيْسَ عَــلَى اللــه بِمُسْــتَنْكَرٍ ** أَنْ يَجْمَــعَ الْعَــالَمَ فِي وَاحِــدِ[(٤)]

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار، **والثاني:** أن يكون (أمّة)

(١) تأويل مشكل القرآن: (٢٤٩)، وينظر: تفسير السمرقندي: (٢/ ٢٩٦)، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: (٣٤)، الهداية الى بلوغ النهاية: (٥/ ٣٢٤٠)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي: (١٤٤)، تفسير القرطبي: (٩/ ١٠)، تفسير ابن كثير: (٤/ ٦١١)، التبيان في تفسير غريب القرآن، لابن الهائم: (٩٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن: (٨٦)، وينظر: الموسوعة القرآنية: (٨/ ٢٥)، مباحث في التفسير الموضوعي: (٢٦).

(٣) التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي: (٩/ ٣٤٨)، وينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: (٤/ ٦٥)، تفسير القاسمي: (٦/ ٤٢٠).

(٤) البيت من (السريع)، وهو لأبي نواس في ديوانه: (١/ ٣٤٩)، وبلا نسبة في شرح قطر الندى وبل الصدى: (١١٤).

بمعنى: مأموم، أي: يَؤُمُّه الناس[١]؛ ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى: مؤتم به كالرُّحْلَة[٢] والنُّخْبَة، وما أشبه ذلك مما جاء من فُعْلة بمعنى مفعول، فيكون مثل قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا[٣] ﴾»[٤].

٩- **بمعنى: إسلامه غير إسلام نبينا، وشرعه مخالف لشرعه**، قال ابن عرفة، قوله تعالى: «﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، أي: إسلامه غير إسلام نبينا، وشرعه مخالف لشرعه»[٥].

١٠- **بمعنى: الطَّائفَة الْعَظِيمَة من النَّاس التي تَجْمَعُهَا جِهَة جَامِعَة**، قال الطاهر ابن عاشور: «وقد وُصِفَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنَّهُ كان أُمَّةً، والأُمَّةُ: الطَّائِفَةُ العَظِيمَةُ مِن النَّاس الَّتي تَجْمَعُهَا جِهَةٌ جامِعَةٌ»[٦].

التحليل السياقي:

بعد عرض هذه المعاني السابقة لهذه اللفظة، وتقارب بعضها في الدلالة، أجدُ أن السياق يرجّحُ معنى " إمَامًا معلِّما للخير"، ويكون المعنى السياقي على ذلك: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إماما مُعلِّمًا للخير مطيعا لله؛ لأنَّ الإمامَ في الدين يكونُ قدوة يستلزمُ منه أن يكونَ مُعَلِّمًا للخَيْر، كما أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ اجتمعت فيه خصال الخير التي لا تكاد تجتمع إلا في أُمَّة، فكان هو الإمام القدوة للناس بالخير، وهذا ما أشار إليه الطبري، قال: « ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ يعني بقوله: "أمة"، إمامًا في الخير يُقتدى به، ويُتَّبع عليه[٧].

(١) الأَمُّ، بِالْفَتْحِ: القَصْد، أَمَّهُ يَؤُمُّه أَمّاً إذا قَصَدَه، ينظر: لسان العرب: (١٢/ ٢٢)، ويَؤُمُّه الناس، أي: يقصدونه ليأخذوا منه الخير، ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي: (٩/ ٢١٩).

(٢) الرُّحْلَةُ بالضم: الوجهُ الذى تريده، ينظر: الصحاح، للجوهري: (٤/ ١٧٠٧).

(٣) سورة البقرة، من الآية: (١٢٤).

(٤) تفسير الزمخشري: (٢/ ٦٤١- ٦٤٢)، وينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٩/ ٢١٨ - ٢١٩)، الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين: (٥/ ٣٣).

(٥) تفسير ابن عرفة: (٢/ ٢٠٨).

(٦) التحرير والتنوير: (١٤/ ٣١٥).

(٧) تفسير الطبري: (٤/ ٢٧٦)، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٥/ ١٧٦)، تفسير السعدي:

وأَيَّد هذه الدلالة أيضًا الشنقيطي، قال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، أثني الله جل وعلا على نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بأنه "أُمَّة"؛ أي: إمام مقتدي به، يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ»[1].

ويؤيّدُ لهذه الدلالة السياقية بعض القرائن اللغوية، منها:

۞ **قوله تعالى في سياق آية أخرى:** ﴿ قال إِنِّي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إِمَامًا ﴾[2]، قال الطبري: «يعني جل ثناؤه بقوله: "إني جاعلك للناس إماما"، فقال الله: يا إبراهيم، إني مصيرك للناس إماما، يؤتم به ويقتدى به»[3]، فالإمام هو الذي يُقْتدى به في الخير؛ لذا كان سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "أمة"، أي: إماما يُعلِّمُ الناسَ ويهتدون به في عمل الخير، «وسمّي الإمام (أُمَّةً)؛ لأنه يجمع خصال الخير»[4]، كما أنه «اجتمع فيه من صفات الفضل وسمات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع من أمة»[5].

۞ كما أورد الطبراني في معجمه «عن عَبْدِ الله قال: قُرِئَتْ عنده، أو قَرَأها، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، فقال عبد الله: إِنَّ مُعَاذًا كان أُمَّةً قانِتًا، قالوا: يا أبا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، فقال عبد الله: وهل تَدْرُونَ ما الأُمَّةُ؟ **الّذي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ**، والقانِتُ: الّذي يُطِيعُ الله ورَسُولَهُ»[6].

۞ كما أورد الحاكم في مستدركه «عن مَسْرُوقٍ، قال: قَرَأْتُ عند عبد الله بن

=

(٤٥١)، التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي: (٢/ ٣٤٤)، التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين، لعبد الرحمن بن ناصر البراك: (١ / ٢٦٦)، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: (١/ ٤٤٧)، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، لحسن عز الدين الجمل: (١/ ١٠٧).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٣/ ٤٥٨)، وينظر: تفسير العثيمين: (٢١٧)، التفسير المنير، لوهبة الزحيلي: (١٤/ ٢٦٠ -٢٦٢)، موسوعة التفسير المأثور: (٣/ ٦٧٢).

(٢) سورة البقرة، من الآية: (١٢٤).

(٣) تفسير الطبري: (٢/ ١٨).

(٤) تفسير الحداد: (٤/ ٨٨).

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن: (٧/ ٣٣٥)، وينظر: تفسير المراغي: (١٤/ ١٥٧).

(٦) المعجم الكبير للطبراني، باب: الِاخْتِلَافُ عن الشَّعْبِيِّ في حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ: (١٠/ ٥٩)، حديث: (٩٩٤٤).

مَسْعُود ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، قال: فقال ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ مُعَاذًا كان أُمَّةً قانِتًا، قال: فأعادوا عليه فأعاد، ثم قال: أَتَدْرُون ما الأُمَّةُ؟ **الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ**، والقَانِتُ الذي يُطِيعُ الله ورَسُولَهُ»[(١)].

۞ «وعن الشَّعْبِيِّ، قال: قال عبد الله بن مَسْعُودٍ: إِنَّ مُعَاذًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أُمَّةً قانِتًا، فقيل: إِنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانِتًا، فقال عبد الله: إِنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذًا بإبراهِيمَعَلَيْهِٱلسَّلَامُ، قيل له: فَمَن الأُمَّةُ؟ قال: **الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ**»[(٢)].

ولما كان سيدنا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إمامًا معلما للخير يُقْتدى به، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الحبيب المصطفى باتباع ملته، جاء ذلك في سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[(٣)]،«أي: ثم أوحينا إليك أيها الرسول وقلنا لك: اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة البريئة من عبادة الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما تبرأ إبراهيم من مثلها من قبل، فأنت متبع له وسائر على طريقه»[(٤)].

وعلى هذا، فالدلالة السياقية لكون سيدنا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ "أُمَّة" أنه كان إمامًا معلماً للخير، جامعاً لخصاله، عالماً بما علمه الله من الشرائع، وهذه الصفات الخيِّرة كلها لا تجتمع في فرد واحد إلا إذا جُمِعَتْ من أمة، ولمَّا كانت كلُّ خصال الخير مجموعة في سيدنا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ استحقَّ أن يكون إمامًا معلمًا للخير يؤتم به، ويُقْتدى به في الأمور كلِّها.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب: التفسير، تفسير سورة النحل: (٢/ ٣٩٠)، حديث: (٣٣٦٧).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ٢٣٠).

(٣) سورة النحل، آية: (١٢٣).

(٤) تفسير المراغي: (١٤/ ١٦٠).

خاتمة البحث

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تحصلُ الدرجات، وبكرمِهِ تبدَّلُ الخطيئات، وبعد، فمن النتائج التي توصل إليها البحث:

- لفظ "أُمَّة" من ألفاظ المُشترك اللفظي التي أثبت لها العلماء كثيرا من الدلالات اللغوية؛ حيث أدرجه بعض علماء المشترك والوجوه والنظائر في مؤلفاتهم.
- المعنى المحوري الذي نص عليه علماء اللغة لهذا اللفظ يدور حول الأصل والمرجع، والقَصْد، والمَجْمع والتَّضام.
- ذكرت المعاجم معاني أخرى للفظ "أُمَّة" غير التي ذكرها علماء الوجوه والنظائر، منها: (الشّطاط، والوَجْه،والنَّشاط، والطَّاعَة، والعَالم)، والسياق له أثره الواضح في الوقوف على المعنى اللغوي الدقيق لهذه الألفاظ.
- الاعتماد على السياق يضيق دائرة المشترك اللفظي؛ حيث يصطفي من المعاني المتعددة معنى معينا يقويه ويتبناه ويرفض ما سواه؛ فقد حدد البحث من خلال السياق بنوعيه الداخلي والخارجي للفظ "أُمَّة" في المواضع التي تمَّت دراستها معنى واحدا فقط، باستثناء الموضع الخامس في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾، فقد استبان لي أنَّ المعاني التي ذكرها العلماء في هذا اللفظ والتي تدور حول (الوقت، والحين، والأجل، والزمان، والسنين)، لا تخلو من وجاهة، فكلها تدلُّ على أجل معلوم ووقت محدود يعلمه الله سبحانه وتعالى.
- وافقت الدراسة بعض آراء اللغويين، وخالفت بعضها، ورجَّحَتْ بعض الأقوال على بعضها، مستندة في ذلك إلى القرائن الداخلية والخارجية.
- وأخيرًا، فإنَّه يمكن القول أنَّ القرآن يتخذُ وسائل وأساليب متنوعة لتأدية المعنى المراد، والسياق له الأثر الأكبر في الكشف عن المعنى المراد، ولله في كتابه أسرار تعجز البشر.

التوصيات:

توصي الباحثة بضرورة دراسة ألفاظ القرآن الكريم، والوقوف على دلالتها في تغيير المعنى من خلال السياق القرآني للآيات، وذلك لتأصيل الفهم السديد لكتاب الله تعالى.

ثبت المصادر والمراجع

- **أولًا - القرآن الكريم برواية حفص.**
- **ثانيًا - المراجع.**

١- أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، د/ محمود حسن الجاسم، كلية الآداب والعلوم- جامعة قطر، العدد الثاني عشر، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢- أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، لأحمد مصطفى أحمد الأسطل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٣- أثر السياق في فهم النص القرآني (مقالة)، د/ عبدالرحمن بو درع، مجلة الأحياء، المملكة المغربية، العدد (٢٥)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي(ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٥- ارتباط الآيات في سورة البقرة، لعبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.

٦- الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٧- الأسلوب، لأحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية عشرة، ٢٠٠٣م.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم- الرياض، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.

٩- إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٠- الألفاظ والتراكيب في السياق القرآني د/ عودة خليل أبو عودة، د/ تمام محمد السيد، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م.

١١- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.

١٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن عجيبة، (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٤- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

١٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١٦- بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا حويش (ت ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.
١٧- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٨- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٩- التبيان في تفسير غريب القرآن، لأحمد بن محمد شهاب الدين ابن الهائم (ت ٨١٥هـ)، تحقيق: د/ ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
٢٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
٢١- تذكرة الأريب في تفسير الغريب "غريب القرآن الكريم"، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٢- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.
٢٣- التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين، لعبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م.
٢٤- تفسير ابن بدران "جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار" لعبد القادر بن أحمد بدران، تحقي: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩١م.
٢٥- تفسير ابن عرفة، لمحمد بن عرفة الله (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٦- تفسير ابن عطية " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٧- تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٨- تفسير الألوسي " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، لشهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٩- تفسير الإيجي "جامع البيان في تفسير القرآن"، لمحمد بن عبد الرحمن الإِيجي (ت ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٠- التفسير البَسِيْط للواحدي "أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي" (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: لجنة علمية مختصة، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٣١- تفسير البغوي "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، لأبي محمد الحسين البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٢- تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٣٣- تفسير الثعلبي "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، للثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
٣٤- تفسير الثعالبي "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٣٥- تفسير الحداد "كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل"، لأبي بكر لحداد اليمني (ت ٨٠٠ هـ)، تحقيق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي، دار الكتاب الثقافي الأردن - إربد، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
٣٦- تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل"، لعلاء الدين المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٧- تفسير الرازي "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير"، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٣٨- تفسير الزمخشري" الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، للزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٣٩- تفسير السعدي "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٤٠- تفسير السمرقندي "بحر العلوم"، لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).
٤١- تفسير السمعاني، لأبي المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٢- تفسير الشعراوي - الخواطر، للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
٤٣- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط/دار التربية والتراث - مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.
٤٤- تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن"، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٥- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٦- تفسير العز بن عبد السلام "تفسير القرآن، وهو اختصار لتفسير الماوردي"، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٤٧- تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٤٨- تفسير القاسمي محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٤٩- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٥٠- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥١- تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٥٢- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد علي طه الدرة، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٥٣- تفسير الرازي "تفسير القرآن العظيم "،لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٥٤- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.
٥٥- تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، لأبي عبد الله شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٥٦- التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" للرازي"، لأبي عبد الله محمد فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٥٧- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.
٥٨- تفسير الماتريدي "تأويلات أهل السنة"، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٥٩- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، د/مأمون حموش، تدقيق: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٦٠- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
٦١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
٦٢- تفسير الموطأ، لأبي المطرف القَنَازِعي (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: د/عامر حسن صبري، دار النوادر - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٦٣- تفسير النسفي "التيسير في التفسير"، لأبي حفص النسفي (٤٦١ - ٥٣٧ هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
٦٤- التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣هـ.
٦٥- تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" لأبي البركات النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
٦٥- التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣هـ.
٦٦- التفسير الوسيط "الوسيط في تفسير القرآن المجيد" للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق:

مجموعة من المحققين، منهم الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٦٧- التفسير الوسيط "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧- ١٩٩٨م.
٦٨- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الهرري (ت ١٤٤١ هـ)، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٦٩- تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: د/محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٧٠- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: د/ محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.
٧١- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
٧٢- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي(ت ٣٧٣هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٧٣- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لعبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (ت ٦٨هـ)، جمعه: الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان.
٧٤- تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٧٥- التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٧٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
٧٧- الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.
٧٨- دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
٧٩- درْج الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: وَليد بن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، وإياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٠- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث "دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق" د/عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار الكتب، ١٩٩١م.

٨١- دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، الأنجلو، ١٩٨٤م.
٨٢- دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني لحسن بن إسماعيل الجناجي (ت ١٤٢٩هـ)، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١ م.
٨٣- دور الكلمة في اللغة لاستيفن أولمان، ترجمة د/كمال محمد بشر، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع - القاهرة، الطبعة الثانية.
٨٤- الرسالة للإمام الشافعي "أبو عبد الله محمد بن إدريس" (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحم شاكر، مكتبة الحلبي- مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ- ١٩٤٠م.
٨٥- روح البيان، لإسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ)،دار الفكر - بيروت.
٨٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٨٧- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار النشر، دار الفكر العربي.
٨٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
٨٩- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٩٠- سنن الترمذي "الجامع الكبير"، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخران، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
٩١- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٩٢- الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري" (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٩٢- صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه" لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩٣ - صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه" لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.
٩٤- صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله "للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء

التراث العربي - بيروت.
٩٥- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان - محمد عزت بن عثمان - أبو نعمة الله محمد شكري، دار الطباعة العامرة - تركيا، ١٣٣٤هـ.
٩٦- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٩٧- العَذْبُ النَّمِيرُ من مجالِس الشَّنْقيطِيِّ في التفسِيرِ، محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عطاءات العلم، الرياض - دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.
٩٨- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د/هادي نهر، دار الأمل- الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧ م.
٩٩- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د/فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية: ١٩٩٩م.
١٠٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
١٠١ - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٠٢- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم برهان الدين الكرماني (ت ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
١٠٣- غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
١٠٤- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لمحمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
١٠٥- الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عُبيد الهَرَوي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
١٠٦- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ)، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بيروت،١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٠٧- فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين العليمي (ت ٩٢٧ هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
١٠٨- فتح القدير، لمحمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب

- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٠٩- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب "حاشية الطيبي على الكشاف"، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، تحقيق: إياد محمد الغوج، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
١١٠- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني (٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
١١١- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١١٢- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل النعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
١١٣- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
١١٤- لطائف الإشارات " تفسير القشيري، لعبد الكريم القشيري" (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
١١٥- اللغة لفندريس، تحقيق: عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م.
١١٦- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١١٧- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجى - القاهرة، ١٣٨١ هـ.
١١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
١١٩- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
١٢٠- مختصر تفسير البغوي، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
١٢١- المخصص لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.
١٢٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي

منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٢٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ -١٩٩٠م.
١٢٤- مستويات التحليل اللغوي، دراسة نظرية وتطبيقية في سورة الفاتحة د/عبد المنعم عبد الله حسن.
١٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٢٦- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، د/ عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.
١٢٧- المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن، د/عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٢٨- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا، د/توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠هـ - ١٩٨٠م.
١٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
١٣٠- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣١- معانى القرآن للأخفش، لأبي الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
١٣٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٣- معاني القرآن للنحاس، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٣٤- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/محمد حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
١٣٥- المعجم الكبير، للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
١٣٦- معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
١٣٧- المعجم المفصل في شواهد العربية، د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية "إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار"، دار الدعوة - القاهرة.
١٣٩- معجم علم اللغة النظري، لمحمد علي الخولي، مكتبة لبنان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
١٤٠- معجم متن اللغة، لأحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧هـ - ١٣٨٠ هـ.
١٤١- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس القزويني (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٤٢- معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن "مخطوطة الجمل"، لحسن عز الدين الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨م.
١٤٣- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
١٤٤- المفاتيح في شرح المصابيح، لمظهر الدين الزَّيْدَاني(ت ٧٢٧ هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
١٤٥- مقدمة في علم الدلالة د/ الموافي الرفاعي البيلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٤٦- موسوعة التفسير المأثور، لمركز الدراسات والمعلومات القرآنية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ.
١٤٧- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
١٤٨- الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
١٤٩- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ.
١٥٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٥١- نظرية الحقول الدلالية، عمار شلواي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢ م.
١٥٢- نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية د/ المثّى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٥٣- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية د/عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.
١٥٤- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لأبي أحمد القصَّاب (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري وآخران، دار القيم، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
١٥٥- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د/ الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٥٦- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: لمقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ) تحقيق: د/حاتم الضامن، مركز الماجد ــ دبي، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
١٥٧- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
١٥٨- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للإمام أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني، (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: عربي عبدالحميد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.
١٥٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٦٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

Sources and references

1- The effect of the external context in directing the compositional meaning of the interpreters of the Holy Qur'an, Dr. Mahmoud Hassan Al-Jassem, College of Arts and Sciences - Qatar University, Issue Twelve, 1435 AH - 2014 AD.

2- The effect of context in guiding the explanation of hadiths according to Ibn Hajar Al-Asqalani, by Ahmed Mustafa Ahmed Al-Astal, Master's thesis, Faculty of Arts, Islamic University - Gaza, 1432 AH - 2011 AD.

3- The effect of context on understanding the Qur'anic text (article), Dr. Abdul Rahman Bou Dara, Biology Magazine, Kingdom of Morocco, Issue (25), 1428 AH - 2007 AD.

4- Ahkam Al-Qur'an, by Judge Muhammad bin Abdullah Abu Bakr bin Al-Arabi (d. 543 AH), edited by: Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, third edition, 1424 AH - 2003 AD.

5- The connection of the verses in Surat Al-Baqarah, by Abd al-Rahman bin Yahya al-Mu'allimi al-Yamani (1313 - 1386 AH), edited by: Muhammad Ajmal al-Islahi, Dar Alam al-Fawa'id for Publishing and Distribution, Edition: First, 1434 AH.

6- Al-Basas fi Al-Tafsir, by Saeed Hawwa (d. 1409 AH), Dar Al-Salam - Cairo, sixth edition, 1424 AH.

7- Style, by Ahmed Al-Shayeb, Egyptian Nahda Library, Twelfth Edition, 2003 AD.

8- Adwaa al-Bayan fi Illhadh al-Qur'an fi Il-Qur'an, by Muhammad al-Amin al-Shanqeeti, Dar Attaat al-Ilm - Riyadh, Dar Ibn Hazm - Beirut, fifth edition, 1441 AH - 2019 AD.

9- The Parsing of the Qur'an, by Abu Jaafar al-Nahhas (d. 338 AH), Publications of Muhammad Ali Baydoun, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, First Edition, 1421 AH.

10- Words and structures in the Qur'anic context, Dr. Odeh Khalil Abu Odeh, Dr. Tammam Muhammad Al-Sayyed, Riyadh, King Fahd National Library, first edition, 1436 AH - 2016 AD.